تعليقات على الإسلام

چيرمين العُلامي شاؤول

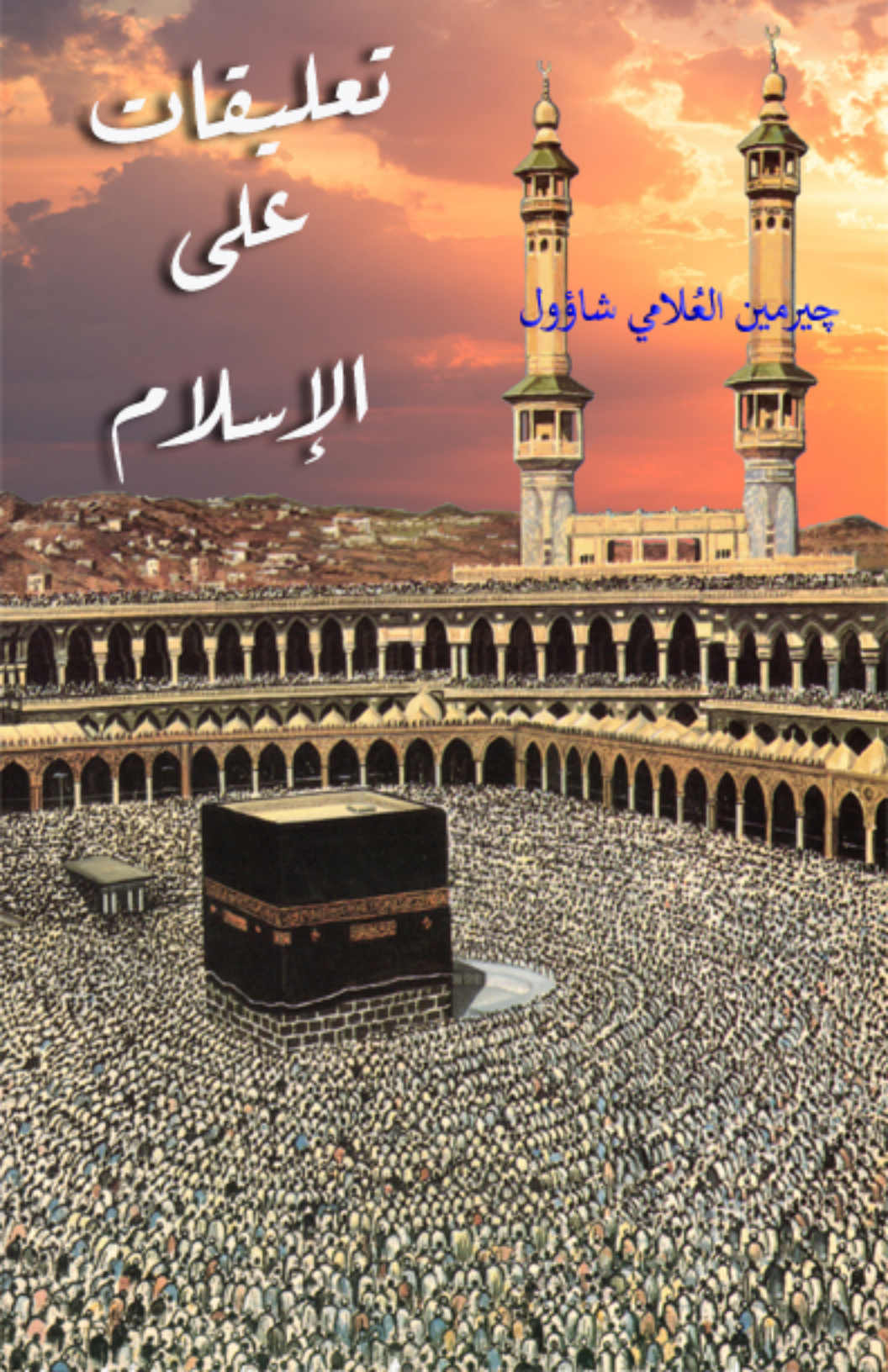

الهداية

تعليقات على الإسلام

«إِلَى ٱلشَّرِيعَةِ وَإِلَى ٱلشَّهَادَةِ. إِنْ لَمْ يَقُولُوا مِثْلَ هٰذَا ٱلْقَوْلِ فَلَيْسَ لَهُمْ فَجْرٌ!» إشعياء ٨: ٢٠

﴿الجزء الخامس﴾

چيرمين العُلامي شاؤول

WATER AND LIFE • VIRGINIA • UNITED STATES

اسم الكتاب: سلسلة الهداية
الجزء الخامس
الناشر: ماء وحياة
اسم المؤلف: چيرمين العُلامي شاؤول
الطبعة الأولى: الولايات المتحدة، ٢٠٢٥
© جميع الحقوق لهذه الطبعة محفوظة
٢٠٢٥
Book Name: El-Hidaya، Part Five
The Right Guidance Part Five
1st Printing 1902 in Cairo، Egypt
New Edition: 2025

https://www.waterandlife.net
Email: thegoodway2015@gmail.com
©
All rights reserved

WATER AND LIFE • VIRGINIA • UNITED STATES

نسخة كاملة هدية

تصدير

الآن وبعد أن انتهينا من الأجزاء الأربعة الأصلية لسلسلة كتب «الهداية»، رأينا أن نقوم بتأليف عدة أجزاء كملاحق للسلسلة. وهي عبارة عن مواضيع لم تُذكر في السلسلة الأصلية أو مواضيع ذُكرت على هامش السيرة ولم تُعالج باستفاضة وتحليل شامل.

فمجموعة كتب «الهداية» ١٨٩٩م - ١٩٠٢م كانت في الأساس للرد على كتابيّ «إظهار الحق» و«السيف الحميدي الصقيل» لذلك التزمت في كل موضوعاتها بالنقاط والمواضيع التي تم الاعتراض عليها في الكتب الإسلامية، ولم تؤلَّف في الأساس لتكون موسوعة نقدية شاملة للقرآن والإسلام.

لذلك كانت محاولتنا المتواضعة هي تحويل السلسلة لمجموعة شاملة لنقد القرآن والسُّنَّة، أي تجميع المواد والمواضيع لتكون السلسلة شاملة وجامعة لنقد القرآن ككتاب بشري موضوع، والإسلام كعقيدة ساهمت في عناء البشرية عن طريق تخريب النفوس والبلدان.

وسيدرك القارئ أننا حاولنا قدر المستطاع توثيق الموضوعات من أمهات الكتب الإسلامية والأحاديث كي لا يتهمنا المسلمون بالتجنّي عليهم.

وإلى اللقاء قريبًا مع الجزء القادم

المحرر

محتويات الجزء الخامس

تصدير..... ٣
مقدمة..... ٥
(١) آيات شيطانية..... ٦
(٢) التناقض بين أقوال محمد وأفعاله..... ١٧
(٣) إتيان محمد ما قد نُهي عنه..... ٢٢
(٤) استغفار محمد ربه..... ٣٢
(٥) عذاب القبر..... ٣٦
(٦) الإباحة للعبد المستغفر ذنبه..... ٤٤
بعمل ما شاء..... ٤٤
(٧) زواج المتعة..... ٤٨
ملحق لفصل زواج المتعة..... ٥٨
(٨) موانع دخول الجنة ووسائل دخولها..... ٦١
(٩) قول عائشة لمحمد:..... ٧٤
«إِنَّ ٱللَّهَ يُسْرِعُ لَكَ فِي هَوَاكَ»..... ٧٤
(١٠) سِحْر اليهودي لمحمَّد..... ٨٧
(١١) تأثير السمِّ في محمد..... ٩٤
(١٢) شفاعة محمَّد يوم القيامة..... ٩٩

نسخة كاملة هدية

مقدمة

يتناول الكتاب بالمناقشة والتحليل مواضيع وحقائق يُعتبر معرفتها من المحرَّمات في العُرْف الإسلامي. فهو طرحٌ جديد لسيرة حياة وقرآن محمَّد بناءًا على ما توصل إليه المؤلف من فِهْم خاص به عن الإسلام مع بعض الإضافات الجانبية عن الإسلام في الحاضر.

فإلى كل الذين خفي عليهم الجانب المظلم من حقيقة القرآن والسيرة المحمدية.

چيرمين العُلامي شاؤول

نسخة كاملة هدية

(١) آيات شيطانية

١ - جاء في كتاب «الملل والنحل والأهواء» للشهرستاني ص ١٩ «قدم نفر من مهاجري الحبشة حين قرأ عليه السلام (سورة النجم ٥٣ الآية ٢، ١٩) ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (حتى بلغ) أَفَرَأَيْتُمُ ٱللَّاتَ وَٱلْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾ (ألقى الشيطان في أمنيته (تلاوته) تلك الغرانيق العُلى إن شفاعتهن لتُرتجى). فلما ختم السورة سجد (ص) وسجد معه المشركون، لتوهُّم أنه ذكر آلهتهم بخير. وفشى ذلك بين الناس وأظهره الشيطان، حتى بلغ أرض الحبشة ومن بها من المسلمين مثل عثمان وأصحابه، وتحدَّثوا أن أهل مكة قد أسلموا كلهم، وصلُّوا معه (ص) وقد آمن المسلمون بمكة، فأقبلوا سراعًا من الحبشة».

٢- ومن تفسير هذه الآية في «الفخر الرازي» (ج ٦ ص ٢٤٤-٢٤٩) «من المسائل في تفسير هذه الآية أن رسول الله لما رأى إعراض قومه عنه، شقَّ عليه ما رأى من مباعدتهم عما جاء به؛ فتمنَّى أن يأتيه الله بشيء ما يقارب بينه وبينهم لحرصه على إيمانهم. فجلس ذات مرة في ناد من أندية قريش، وجلس معه كثيرون من أبناء قريش، وأحبّ يومئذ ألَّا يأتيه من الله شيء ينفر منه، وتمنى ذلك فأنزل تعالى (سورة النجم ٥٣:١-٧) ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ فقرأها (حتى بلغ) ﴿أَفَرَأَيْتُمُ ٱللَّاتَ وَٱلْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾ ألقى الشيطان على لسانه «تلك الغرانيق العُلى إن شفاعتهن لتُرتجى». فلما سمعت قريش فرحوا، ومضى رسول الله في قراءته فقرأ السورة كلها، فسجد

وسجد معه المسلمون والمشركون، وتفرَّقت قريش وقد سرَّهم ما سمعوه، وقالوا: «قد ذكر محمد آلهتا بأحسن الذِّكْر». فلما أمسى الرسول أتاه جبريل فقال :«ماذا صنعت؟ لقد تلوت على الناس ما لم آتيك به من عند الله»، فحزن الرسول حزنًا شديدًا وخاف من الله خوفًا عظيمًا حتى نزل قوله تعالى في (سورة الحج ٢٢:٥٢) ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ أَوْ نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾. وقد ذكرها ابن هشام البيضاوي والجلالان.

هَذَا رِوَايَةُ عَامَّةِ الْمُفَسِّرِينَ الظَّاهِرِيِّينَ، أَمَّا أَهْلُ التَّحْقِيقِ فَقَدْ قَالُوا هَذِهِ الرِّوَايَةُ بَاطِلَةٌ مَوْضُوعَةٌ وَاحْتَجُّوا عَلَيْهِ بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَالْمَعْقُولِ. أَمَّا الْقُرْآنُ فَوُجُوهٌ: أَحَدُهَا: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الْأَقاوِيلِ لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ (الْحَاقَّةِ: ٤٤- ٤٦). وقوله في (سورة النجم ٥٣: ٣، ٤) ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾. والسُّنَّة تنفي ذلك بكلام لا حاجة إلى ذِكره هنا.

أما المعقول فهو: وَأَمَّا الْمَعْقُولُ فَمِنْ وُجُوهٍ: أَحَدُهَا: أَنَّ مَنْ جَوَّزَ عَلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعْظِيمَ الْأَوْثَانِ فَقَدْ كَفَرَ لِأَنَّ مِنَ الْمَعْلُومِ بِالضَّرُورَةِ أَنَّ أَعْظَمَ سَعْيِهِ كَانَ فِي نَفْيِ الْأَوْثَانِ. لو جوَّزنا ذلك لارتفع الأمان عن شرعه. وقد فسَّر أهل التحقيق (الأمنية) إما القراءة أو الخاطر.

اعتراضات أهل التحقيق والرد عليها

الاعتراض الأول: «إِنَّ النَّبِيَّ لَمْ يتكلم بقوله «تلك الغرانيق العلى» وَلَا الشَّيْطَانُ تَكَلَّمَ بِهِ وَلَا أَحَدٌ تَكَلَّمَ بِهِ لَكِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا قَرَأَ سُورَةَ النَّجْمِ اشْتَبَهَ الْأَمْرُ عَلَى الْكُفَّارِ فَحَسِبُوا بَعْضَ أَلْفَاظِهِ مَا رَوَوْهُ مِنْ قَوْلِهِمْ

تِلْكَ الْغَرَانِيقُ العلى وَذَلِكَ عَلَى حَسَبِ مَا جَرَتِ الْعَادَةُ بِهِ مِنْ تَوَهُّمِ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ عَلَى غَيْرِ مَا يُقَالُ».

✍ **الرد:** (١) إنَّ التَّوَهُّمَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ إِنَّمَا يَصِحُّ فِيمَا قَدْ جَرَتِ الْعَادَةُ بِسَمَاعِهِ فَأَمَّا غَيْرُ الْمَسْمُوعِ فَلَا يَقَعُ ذَلِكَ فِيهِ.

(٢) أَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَوَقَعَ هَذَا التَّوَهُّمُ لِبَعْضِ السَّامِعِينَ دُونَ الْبَعْضِ فَإِنَّ الْعَادَةَ مَانِعَةٌ مِنَ اتِّفَاقِ الْجَمِّ الْعَظِيمِ فِي السَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ عَلَى خَيَالٍ وَاحِدٍ فَاسِدٍ فِي الْمَحْسُوسَاتِ.

(٣) لو كان الأمر كذلك، فلماذا نسبوه إلى الشيطان حسب الآية في (سورة الحج ٢٢: ٥٢).

الاعتراض الثاني: «قَالُوا: إِنَّ ذَلِكَ الْكَلَامَ كَلَامُ شَيْطَانِ الْجِنِّ وَذَلِكَ بِأَنْ تَلَفَّظَ بِكَلَامٍ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ أَوْقَعَهُ فِي دَرَجِ تِلْكَ التِّلَاوَةِ فِي بَعْضِ وَقَفَاتِهِ لِيُظَنَّ أَنَّهُ مِنْ جِنْسِ الْكَلَامِ الْمَسْمُوعِ مِنَ الرَّسُولِ، قَالُوا: وَالَّذِي يُؤَكِّدُهُ أَنَّهُ لَا خِلَافَ فِي أَنَّ الْجِنَّ وَالشَّيَاطِينَ مُتَكَلِّمُونَ فَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَأْتِيَ الشَّيْطَانُ بِصَوْتٍ مِثْلِ صَوْتِ الرَّسُولِ فَيَتَكَلَّمَ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ فِي أَثْنَاءِ كَلَامِ الرَّسُولِ وَعِنْدَ سُكُوتِهِ فَإِذَا سَمِعَ الْحَاضِرُونَ تِلْكَ الْكَلِمَةَ بِصَوْتٍ مِثْلِ صَوْتِ الرَّسُولِ وَمَا رَأَوْا شَخْصًا آخَرَ ظَنَّ الْحَاضِرُونَ أَنَّهُ كَلَامُ الرَّسُولِ، ثُمَّ هَذَا لَا يَكُونُ قَادِحًا فِي النُّبُوَّةِ لَمَّا لَمْ يَكُنْ فِعْلًا لَهُ».

✍ **الرد:** وَهَذَا أَيْضًا ضَعِيفٌ. إذا اقتنعت بالرأي السابق، وقلت: «إنه من الممكن أن يتكلَّم الشيطان في أثناء كلام الرسول بما يشتبه على السامعين كونه كلام الرسول»، بقى هذا الاحتمال في كل ما يتكلم به الرسول؛ فينتج من ذلك رفع الثقة عن القرآن كله.

الاعتراض الثالث: «قالوا إن رسول الله قال هذه الجملة «تلك الغرانيق» سهوًا كما يُرْوَى عن قتادة ومقاتل -من أصحاب محمد- أنهما قالا: «إنه كان يصلي عند المقام، فنعس وجرت على لسانه هذه الكلمات «تلك الغرانيق العُلى إن شفاعتهن لترتجى»، فلما فرغ من السورة، سجد وسجد كل من في المسجد، وفرح المشركون بما سمعوه . فأتاهُ جبريل فاستقراءهُ السورة، فلما انتهى من أفرأيتم آللات والعزى ومناة الثالثة الأُخرى تلك الغرانيق العُلى إن شفاعتهن لترتجى، قال جبريل لم آتيك، بهذا فحزن الرسول إلى أن نزلت سورة الحج ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ أَوْ نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ (الحج ٢٢: ٥٢)»

✍ **الرد:** (١) إِنَّهُ لَوْ جَازَ هَذَا السَّهْوُ لَجَازَ فِي سَائِرِ الْمَوَاضِعِ وَحِينَئِذٍ تَزُولُ الثِّقَةُ عَنِ الشَّرْعِ.

(٢) إِنَّ السَّاهِيَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَقَعَ مِنْهُ مِثْلُ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ الْمُطَابِقَةِ لِوَزْنِ السُّورَةِ وَطَرِيقَتِهَا وَمَعْنَاهَا، فَإِنَّا نَعْلَمُ بِالضَّرُورَةِ أَنَّ وَاحِدًا لَوْ أَنْشَدَ قَصِيدَةً لَمَا جَازَ أَنْ يَسْهُوَ حَتَّى يَتَّفِقَ مِنْهُ بَيْتُ شِعْرٍ فِي وَزْنِهَا وَمَعْنَاهَا وَطَرِيقَتِهَا.

(٣) هَبْ أَنَّهُ تَكَلَّمَ بِذَلِكَ سَهْوًا، فَكَيْفَ لَمْ يُنَبَّهْ لِذَلِكَ حِينَ قَرَأَهَا عَلَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَذَلِكَ ظَاهِرٌ؟! فهل يقع السهو عليه مرتين ويكرر نفس الألفاظ في نفس موضعها؟

الاعتراض الرابع: «وَهُوَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَكَلَّمَ بِذَلِكَ قَسْرًا وَهُوَ الَّذِي قَالَ قَوْمٌ إِنَّ الشَّيْطَانَ أَجْبَرَ النَّبِيِّ عَلَى أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهَذَا».

✍ **الرد:** (١) إِنَّ الشَّيْطَانَ لَوْ قَدَرَ عَلَى ذَلِكَ فِي حَقِّ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَكَانَ اقْتِدَارُهُ عَلَيْنَا أَكْثَرَ فَوَجَبَ أَنْ يُزِيلَ الشَّيْطَانُ النَّاسَ عَنِ الدِّينِ وَلَجَازَ فِي

أَكْثَرِ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ الْوَاحِدُ مِنَّا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِإِجْبَارِ الشَّيَاطِينِ.

(٢) إِنَّ الشَّيْطَانَ لَوْ قَدَرَ عَلَى هَذَا الْإِجْبَارِ لَارْتَفَعَ الْأَمَانُ عَنِ الْوَحْيِ لِقِيَامِ هَذَا الِاحْتِمَالِ.

(٣) إِنَّهُ بَاطِلٌ بِدَلَالَةِ قَوْلِهِ تَعَالَى حَاكِيًا عَنِ الشَّيْطَانِ وَما كانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ (إِبْرَاهِيمَ: ٢٢)، وَقَالَ تَعَالَى: إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّما سُلْطانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ (النَّحْلِ: ٩٩، ١٠٠) وَقَالَ: إِلَّا عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (الْحِجْرِ: ٤٠).

الاعتراض الخامس: «وَهُوَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ تكلم بذلك اختيارا حسب هذه الرواية: «قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا فِي رِوَايَةِ عَطَاءٍ إِنَّ شَيْطَانًا يُقَالُ لَهُ الْأَبْيَضُ أَتَاهُ عَلَى صُورَةِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَلْقَى عَلَيْهِ هَذِهِ الْكَلِمَةَ فَقَرَأَهَا فَلَمَّا سَمِعَ الْمُشْرِكُونَ ذَلِكَ أَعْجَبَهُمْ فَجَاءَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَاسْتَعْرَضَهُ فَقَرَأَهَا فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى تِلْكَ الْكَلِمَةِ قَالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَا مَا جِئْتُكَ بِهَذِهِ قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ أَتَانِي آتٍ عَلَى صُورَتِكَ فَأَلْقَاهَا عَلَى لِسَانِي».

✍ **الرد:** هذا القول يَقْتَضِي أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا كَانَ يُمَيِّزُ بَيْنَ الْمَلَكِ الْمَعْصُومِ وَالشَّيْطَانِ الْخَبِيثِ.[١]

الاعتراض السادس: «قَالَ بَعْضُ الْجُهَّالِ إِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِشِدَّةِ حِرْصِهِ عَلَى إِيمَانِ الْقَوْمِ أَدْخَلَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ ثُمَّ رَجَعَ عَنْهَا».

---

١ - هل النبي غير قادر على التمييز بين جبريل والشيطان؟! وما المانع أن يكون الشيطان أتاهُ بصورة جبريل في مواضع أخرى؟!

✍ **الرد:** هذا القول يَقْتَضِي أَنَّهُ كَانَ خَائِنًا فِي الْوَحْيِ وَكُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا خُرُوجٌ عَنِ الدِّينِ.

ومن تفسير «الجلالين» لنص (سورة الحج ٢٢: ٥٢)، الجزء الثاني، صفحة ٤٥ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ أَوْ نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى ٱلشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ ٱللهُ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَانُ﴾. «وما أرسلنا من قبلك من رسول إلَّا إذا تمنّى ألقى الشيطان في أمنيته (قراءته) ما ليس من القرآن بما يرضاه المرسَل إليهم، وقد قرأ النبي في سورة النجم بمجلس من قريش بعد أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى بإلقاء الشيطان على لسانه من غير علمه «وتلك الغرانيق العُلى إن شفاعتهن لترتجى». ففرحوا بذلك ثم أخبره جبريل بما ألقاه الشيطان على لسانه من ذلك، فحزن فسُلِّي بهذه الآية ليطمئن (ص) فينسخ الله (يبطل) ما يلقى الشيطان، ثم يحكم آياته (يثبتها)، والله عليم حكيم (عليم بإلقاء الشيطان) (الحج ٢٢: ٥٢).»

التعليق

لا يخفى عليك عزيزي القارئ أن هذا الحادث حقيقة مؤكدة بشهادتي القرآن والتاريخ، الذي لم ولن يجد المسلمون مخرجًا لإنكار هذا الحادث. وها أنك قد رأيت المفسّرين المسلمين بمذاهبهم المتضاربة السخيفة في هذه المسألة، قد طعنوا -وهم لا يدرون- في دعوى محمد بالنبوّة والرسالة من الله، وإني أرى أنه من الأنسب لو قالوا: «إن رسول الإسلام فعل ذلك لغاية حميدة من نفسه، وإن ذلك درج على لسانه لمؤالفته سماع ذلك من قومه على توالى الأيام، شأن الضعف البشري، ثم انتبه إلى غلطته ورجع عنها، وإن ذلك كان إلقاءًا أدبيًا من الشيطان». فما أوردناه في هذا الموضوع يظهر لنا

أربعة أمور جديرة بالاعتبار والتعليق.

❶ تأكيد إلقاء الشيطان على لسانه المديح لآلهة قريش.

❷ تكذيب فريق لهذه الحادثة، ورمى محدّثيها بالافتراء.

❸ الإقرار بإلقاء الشيطان على لسان النبي يطعن في نبوّته

❹ تضارب الآراء بشأن هذا الحادث

التعليق على الأمر الأول:
تأكيد إلقاء الشيطان على لسان محمد ذلك المديح لآلهة قريش.

لدى اطلاعنا على هذه المسالة، وجدنا في قصة مدح محمد للأصنام حادثة واقعية لا تقبل الشك لخمسة أسباب:

(١) بساطة القصة. الأمر الدال على أنها قصة تاريخية غير مؤلَّفة.

(٢) إنها مروية عن فريق من الصحابة، كقتادة ومقاتل وإلياس، بعضهم نسبوا هذه القصة إلى السهو وبعضهم إلى إلقاء على لسانه من الشيطان يُقال له الأبيض.

(٣) تعليق الفريق الذين رجعوا من الحبشة على هذا الحادث.

(٤) اعتراف المفسّرين مثل الجلالين والرازي وغيرهم ممن كتبوا سيرة النبي مثل ابن هشام وابن إسحاق بوقوع الحادث.

(٥) العلاقة الطبيعية بين الآية (الحج ٢٢: ٥٢) وبين القصة في (سورة النجم)، فعلى افتراض ضياع القصة وإنكار هذا الحادث من عامة المسلمين، وإجماعهم على بطلان القصة؛ فالآية تدل دلالة راهنة على تمني محمد شيئًا أو أشياء من إلقاء الشيطان في أمنيته، وهنا الفاجعة الكبرى، لأنه عوّض تقييد النص بحادث؛ وهذا يعني أنه يصبح مطلق

الإشارة إلى حوادث شتى.

فعلى الذاهبين ببطلان واختلاق هذه القصة أن يوضّحوا لنا -إن كان في استطاعتهم- الباعث على ذلك النص ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ أَوْ نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ سورة الحج ٥٢:٢٢)، ويشرحوه لنا شرحًا وافيًا يقبله العقل. ونحن نرى النَّص لم يكن إلَّا لتعزية قلب محمد على حزن وخوف خامره بسبب إلقاء الشيطان على لسانه.

فالتفسير المباشر للنص هو: «يقول الله لمحمد: «لا يرهبك ولا يجذعك ما ألقى الشيطان على لسانك من تعظيم أوثان قريش الباطلة، ولست أنت النبي الوحيد الذي جرى له مثل ذلك، لقد طرأ مثل هذا على بعض أسلافك من أنبيائي ورسلي إذ تمنوا على نحو ما تمنيت، فألقى الشيطان في أمنيتهم كلامًا في درج تلاوتهم كلامي، فنسخت ما ألقى الشيطان وأحكمت آياتي، فلك يا محمد أُسوةٌ بهم، وكنْ مطمئنًا مرتاحًا، فإني نسخت ما ألقى الشيطان على لسانك في درج كلامي».

التعليق على الأمر الثاني:

وهو تكذيب فريق لهذا الحادث ورمي محدّثيها بالافتراء.

وهم الذين وصفهم الرازي بأهل التحقيق بأن قالوا: «هذه الرواية باطلة»، وعلَّلوا بطلانها بما عللوا.

أولًا: لقد أخطأ الرازي بوصفه مثل هؤلاء بأهل التحقيق، وهم لم يأتوا بشيء من التحقيق، وكان الأحقّ بهذا الوصف الفريق الأول الذي

وصفهم بالظاهريين، التي تنطبق روايتهم كل الانطباق على النص القرآني، وعلى ما يُنسب إلى بعض الصحابة وأمر رجوع من مهاجرة الحبشة، ولا يُرى قول هؤلاء المنعوتين بأهل التحقيق هذه الرواية باطلة موضوعة إلَّا إفكًا وبهتانًا، إذ ليس في احتجاجهم ما يُعتَبر برهانًا على صحة دعواهم. وما ذلك منهم إلَّا محاولة ستر البيِّن بالظاهر. فهم آهلين بأن يُنعتوا بأهل التمويه لا بأهل التحقيق.

ثانيًا: لا يوجد مسلم عاقل يسلِّم بأن نفرًا من أصحاب محمد المخلصين يختلقون على نبيهم العزيز هذا الأمر المشين، لو لم يكن هذا الأمر أكيدًا، وما ذكروه لو لم يكن مشهورًا، وما نسب بعضهم إلى السهو من قبيل النعاس، وآخرون إلى شيطان يُقال له «أبيض» جاء محمد بصورة جبريل وألقى على لسانه تلك الجملة التي كررناها، فضلاً عن العلاقة الكلية بين النص والحادث لا تدع سبيلاً إلى إنكاره أو تكذيبه.

ثالثًا: وما احتجاجهم بالمنقول والمعقول إلَّا احتجاجًا صبيانيًا لا يحرز شيئًا، فما أوهى حجتهم ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (سورة النجم٥٣: ٣،٤). فسخافة هذه الحجة تظهر لنا ظهور الشمس في رائعة النهار.

إن هذا النص حسب شرح الفخر الرازي ما كان إلَّا ردّاً على طعن المشركين الذين رموا محمدًا بالافتراء على الله إذ قالوا: ﴿ٱفْتَرَاهُ عَلَى ٱللَّهِ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾.

إن هذا الاحتجاج باطل أيضًا، لأن (سورة النجم ٥٣: ٣ و٤) وما ينطلق عن الهوىَ لأنه إذا كان الشيطان ألقى على لسان محمد ذلك المديح،

وهو يفتكرها إلقاء الله فلا يمكن أن يكون نطق بها عن الهوى (أي الغرض الذاتي)، فما كان أغناهم عن مثل هذا الاحتجاج الفارغ بهذا القول الدال على عدم رويّتهم وتدبُّرهم نصوص القرآن.

وليس في احتجاجهم بالمعقول أقل سخافة إذا قالوا: «إن من جوَّز على الرسول تعظيم الأوثان فقد كفر، بداعي أن أعظم سعيه كان نفي الأوثان، وجواز ذلك يعنى رفع الأمان عن شرعه. فعجبًا لهؤلاء المحققين كيف للداعي الذي ذكروه قد كفَّروا من جوَّز على محمد تعظيم الأوثان بطريقة إلقاء الشيطان ذلك على لسانه، متجاهلون نص القرآني المبين (سورة الحج ٢٢: ٥٢)، فقد جوَّز القرآن ما اعتبروه أهل التحقيق كُفْرًا، وكيف لهم أن ينكروا على القرآن ما جوَّزه ويكذِّبون ما شهد بوقوعه بمحمد وأصحابه. أليس ذلك امتهان لكتابهم ولأصحاب نبيهم؟!

التعليق على الأمر الثالث:

وهو الإقرار بإلقاء الشيطان على لسان النبي يطعن في نبوَّته.

ومن قولهم: «إن ذلك الكلام هو كلام شيطان الجن، أوقعه في درج التلاوة، ليُظَن أنه من جنس الكلام المسموع من الرسول، فلا يمتنع أن يأتي الشيطان في أثناء كلام الرسول بصوت مثل صوته، والحاضرون إذ لم يروا شخصًا آخر ظنوا أن هذا الكلام هو كلام رسول الله، ثم هذا لا يكون قادحًا في النبوَّة»

هؤلاء القوم أذكياء، إذ أنكروا على محمد تفوُّهه بهذه الكلمات، لكي يهربوا من النتيجة المرَّة المترتبة على ذلك، فهربهم هذا لا يُعتبر بالضرورة هربًا أو تخلُّصًا من تلك النتيجة، بل هي محاولة فارغة لا تجديهم شيئًا؛

لبقاء هذا الاحتمال في كل ما تفوَّه به الرسول أو سُمع أنه تكلَّم به، وبذلك يرتفع الأمان عن شرع محمد وعن القرآن.

التعليق على الأمر الرابع:

وهو تضارُب المذاهب بشأن هذا الحادث

إذ قد ذهب بعضهم «كان النبي يتلو في أحد أندية قريش سورة النجم حتى بلغ تلاوته أفرأيتم اللَّات والعزى ألقى الشيطان على أمنيته كلام ذلك المديح». وبعضهم: «إن ذلك وقع على الرسول سهوًا من جراء النعاس». وبعضهم قال: «إن ذلك كان كلام شيطان الجن أوقعه في درج التلاوة». وبعضهم قال: «إن الشيطان أتى محمدًا بصورة جبريل، فظنه محمد جبريل». وبعضهم قال: «إن محمدًا تكلَّم ذلك الكلام من تلقاء نفسه، ثم رجع عن ذلك». وبعضهم قال: «إن ذلك كلام الرسول، أجبره عليه الشيطان».

فلماذا هذا التضارب؟!

ونحن نرى في هذه المذاهب المتضاربة -التي بها حاولوا عبثًا إخراج نبيهم من وصمة عار هذا الحادث- أنها تطعن في أركان دعوى محمد بالنبوَّة والرسالة من الله؟ لأنك كيفما قبلتها لا تراها إلَّا سهمًا طاعنًا في دعواه، ألا ترى أنهم بتضاربهم هذا قد نزعوا منا الثقة بكل ما يرونه. فكان من الأصلح للمسلمين أن يسلِّموا بصحة القصة من أولها قبل أن ينسبوا إلى نبيهم عدم المقدرة على التمييز بين الأرواح، ومعرفة الملاك الصالح من الملاك الشرير. وكل باحث أمين يرى أن ما ألجأ القوم إلى السهو والإجبار إلَّا معرفتهم الأكيدة أن محمدًا قال في أثناء قرآته السورة كلمات التعظيم للأوثان، فلكي يتفادوا سهام اللوم نسبوا ذلك إلى ما نسبوه مما زاد الطين بلَّة.

(٢) التناقض بين أقوال محمد وأفعاله

جاء في «صحيح مسلم» «كتاب البر والصلة والآداب» «٤٧٢ حَدَّثَنِي سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنِي حَفْصُ بْنُ مَيْسَرَةَ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ أَنَّ عَبْدَ ٱلْمَلِكِ ٱبْنَ مَرْوَانَ بَعَثَ إِلَى أُمِّ الدَّرْدَاءِ بِأَنْجَادٍ مِنْ عِنْدِهِ فَلَمَّا أَنْ كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ قَامَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ مِنَ ٱللَّيْلِ فَدَعَا خَادِمَهُ فَكَأَنَّهُ أَبْطَأَ عَلَيْهِ فَلَعَنَهُ فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَتْ لَهُ أُمُّ ٱلدَّرْدَاءِ سَمِعْتُكَ ٱللَّيْلَةَ لَعَنْتَ خَادِمَكَ حِينَ دَعَوْتَهُ فَقَالَتْ سَمِعْتُ أَبَا ٱلدَّرْدَاءِ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يَكُونُ ٱللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو غَسَّانَ ٱلْمِسْمَعِيُّ وَعَاصِمُ بْنُ ٱلنَّضْرِ ٱلتَّيْمِيُّ قَالُوا حَدَّثَنَا مُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ وحَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَخْبَرَنَا عَبْدُ ٱلرَّزَّاقِ كِلَاهُمَا عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ فِي هَذَا ٱلإِسْنَادِ بِمِثْلِ مَعْنَى حَدِيثِ حَفْصِ بْنِ مَيْسَرَةَ»

جاء في «سنن أبي داود» «كتاب الآداب» «٤٢٦١ حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَبِي ٱلزَّرْقَاءِ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ أَبِي حَازِمٍ وَزَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ أَنَّ أُمَّ ٱلدَّرْدَاءِ قَالَتْ سَمِعْتُ أَبَا ٱلدَّرْدَاءِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول:ٍلَا يَكُونُ ٱللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ»

جاء في «صحيح مسلم» الجزء الخامس صفحه ٢٥ «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ ٱلرسول قال إني لم أُبعَثُ لعَّانًا وإنما بُعثت رحمة»

جاء في كتاب «إحياء علوم الدين» للإمام للغزلي، الجزء الثالث

صفحه ١٢٧ «عَنِ ٱلنَّبِيِّ، لَيْسَ ٱلْمُؤْمِنُ بِالْطِعَانِ وَلَا ٱللِّعَانِ»

لقد أقرَّ محمد شرِّ اللَّعن وعدم جدارته به وبالمؤمنين كما رأيت، ثم ناقض ذلك بسبه ولعنه رجلين مسلمين (على ذمة الراوي)

جاء في «صحيح مسلم» «كتاب البر ،الصلة ،الآداب» «٤٧٥ حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنِ ٱلأَعْمَشِ عَنْ أَبِي ٱلضُّحَى عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: دَخَلَ عَلَى رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلَانِ فَكَلَّمَاهُ بِشَيْءٍ لَا أَدْرِي مَا هُوَ فَأَغْضَبَاهُ فَلَعَنَهُمَا وَسَبَّهُمَا فَلَمَّا خَرَجَا قُلْتُ: يَا رَسُولَ ٱللهِ مَنْ أَصَابَ مِنَ ٱلْخَيْرِ شَيْئًا مَا أَصَابَهُ هَذَانِ قَالَ وَمَا ذَاكِ قَالَتْ قُلْتُ: لَعَنْتَهُمَا وَسَبَبْتَهُمَا قَالَ أَوَ مَا عَلِمْتِ مَا شَارَطْتُ عَلَيْهِ رَبِّي قُلْتُ ٱللهُ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ فَأَيُّ ٱلْمُسْلِمِينَ لَعَنْتُهُ أَوْ سَبَبْتُهُ فَاجْعَلْهُ لَهُ زَكَاةً وَأَجْرًا».

التعليق

بعض الدعاوى المشبوهة يحتاج إلى دحضها شهادة من الخارج، وبعضها مدحوضة من نفسها كما رأيت في هذا الموضوع. فهي كما رأيت طاعنة نفسها بنفسها، ألم ترَ نبي الإسلام كيف سبق فصرَّح أن الدُّعاء على الناس ليس من أخلاق المؤمنين، وليس المؤمن بالطعان ولا باللعان، وإنه هو ما بُعِثَ لعَّانًا، وإن اللعَّانين لا يكونون شفعاء يوم القيامة. فما أحسن هذا القول منه وأقربه إلى قول المسيح: «بَارِكُوا لَاعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ ٱلَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ» (متَّى ٥: ٤٤) وقول بولس الرسول: «بَارِكُوا عَلَى ٱلَّذِينَ يَضْطَهِدُونَكُمْ. بَارِكُوا وَلَا تَلْعَنُوا» (رومية ١٢: ١٤)، وقول الرسول بطرس: «غَيْرَ مُجَازِينَ عَنْ شَرٍّ بِشَرٍّ أَوْ عَنْ شَتِيمَةٍ بِشَتِيمَةٍ، بَلْ

بِٱلْعَكْسِ مُبَارِكِينَ، عَالِمِينَ أَنَّكُمْ لِهَذَا دُعِيتُمْ لِكَيْ تَرِثُوا بَرَكَةً» (١بطرس ٣: ٩)

وكيف أنه بعد هذا القول سبَّ ولعن، وأفتى لنفسه ما أفتى!

عزيزي القاريء: هل يناجيك العقل لدى وقوفك على هذه الأمور المرويَّة عن محمد؟ فإن كان الدعاء على الناس باللعن ليس من أخلاق المؤمنين، أيكون من أخلاق الأنبياء المشرِّعين؟!

أليس إذا لم يكن من أخلاق عامة الناس فبالأولى لا يكون من أخلاق الأنبياء المرسلين؟

وكيف أنه ما بُعِثَ لعَّانًا وقد سبَّ ولعن؟ وكيف هو رفض أن يلعن المشركين، وقد سبَّ ولعن مسلميْن موحديْن؟! أليس هذا تناقضًا؟

ثم إذا كان قوله: «لَا يَكُونُ ٱللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ألا يكون بذلك قد جرح دعواه بالشفاعة يوم القيامة؟

وهل من حجة تحاكي غرابة احتجاج نبي الإسلام عن لعنه وسبِّه المسلمين بقوله لزوجته عائشة بعد أن أمسكته من كلامه وأنكرت عليه ما فعل -وكم هو مؤلم ومخزي أن غير الأنبياء يوبِّخون الأنبياء ويعلِّمونهم الاستقامة- «أَوَ مَا عَلِمْتِ مَا شَارَطْتُ عَلَيْهِ رَبِّي؟ قُلْتُ ٱللهُ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ فَأَيُّ ٱلْمُسْلِمِينَ لَعَنْتُهُ أَوْ سَبَبْتُهُ فَاجْعَلْهُ لَهُ زَكَاةً وَأَجْرًا»!

أهذا كلام الأنبياء؟! أيسلِّم العقل بمثل هذا الاحتجاج؟ أعوض أن يستغفر الله ذنوبه ويتوب إليه عن إثمه، يشترط عليه عزَّ وجل أن يجعل لعنه للمسلم زكاة وأُجرة. أليس ذلك أغرب وأعجب ما سُمِعَ؟، لأنه مؤكدًا أن من احتمل بالصبر و شُتِمَ ظُلْمًا مع مقدرته على المقاومة بالمثل، ثم عفا عن شاتمه، فقد أتى فضيلة يؤجر عليها، ولكن الشاتم لا يُبرأُ من ذنبه.

ثم يلوح لك من القصة أن عائشة قد سمعت من محمد يقول بحضرة أصحابه «إن الدعاء على الناس ليس هو من أخلاق المؤمنين، ومانع للشفاعة، وإنه ما بُعِثَ لعَّانًا. الخ. لذلك رفض أن يلعن المشركين إجابة لطلب أحد أصحابه، رأته عائشة بعد ذلك يسبُّ ويلعن رجلين، أنكرت عليه ذلك، ولم يسعها إلَّا أن تقول ما يُشْتَمُّ منه رائحة التبكيت، وكأني بها تقول له: «يا رسول الله أأنت رأس المسلمين وإمامهم، ألم تصرِّح أن لا شفاعة للعَّان يوم القيامة؟! أفلا يكون لعنك للناس طاعنًا بدعواك أنك شفيع المسلمين يوم القيامة؟ فما هو مخرجك من ذلك يا رسول الله؟!»

أما محمد فقد رأى حقًا أنه وقع في يد الفتاة عائشة، وحُجَّ منها، لجأ إلى تلك الدعوة الغريبة لما يعلمه من سذاجتها وشدة يقينها به كرسول الله. ربما دار بينهما هذا الحوار الخيالي:

محمد: «أما علمت يا عائشة ما شارطتُ ربي عليه».

عائشة: «لا يا رسول الله، وما هو؟!».

محمد: «قلت اللهم أنا بشرٌ، فأي المسلمين سببته أو لعنته فاجعله له زكاة وأجرًا»

عائشة: «صحيح يا رسول الله؟ أراك تمزح معي»!

محمد: «لا يا عائشة ليس ذلك مني بمزحٍ، بل أقول الحق والجد». ولكن أيُشَارَطُ الله من العبد؟! لما أُمسك من امرأته -وأي مسكة- ضاق زرعًا عن الدفع المقبول، ولم يعدم من حذقه حجة يتنصَّلُ بها من يد المرأة الساذجة، فبادرها وردَّ عنها سهام لومها خائبًا.

خلاصة الأمر،

إن هذه القضية هى من أولى نُكَت نبي الإسلام وغرائبه الطاعنة في دعواه النبوَّة والرسالة من عند الله. وكل عاقل يرى أنه لو أجاب عائشة حين أُمسِكَ منها: «فما أنا يا عائشة إلَّا بشرٌ ضعيف، وإن كنت نبيًا، وليس النبي معصوم من الخطأ في السيرة بل في إبلاغه الرسالة للناس، فقد أخطأتُ بلعني الآخرين واستغفر الله لذنبي وأتوب إليه». لكان ذلك أفضل تخلُّصٌ له وأحسن دفع!

نسخة كاملة هدية

(٣) إتيان محمد ما قد نُهي عنه

تأبى النفس الأبية تدوين هذه الحادثة، والجولة في أطرافها، ولكن الحاجة الماسة مرغمة إلى ذلك؛ لأنها شهيرة في كتب علماء الإسلام كالحديث للبخاري ومسلم كأمور لا بأس بها، ونوع هذا المؤلَّف يستدعي ذلك.

نهى محمد في شرعه عن إتيان النساء في حالة حيضهن، وفي أيام الصوم فقد جاء في القرآن ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا ٱلنِّسَاءَ فِي ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (سوره البقرة ٢: ٢٢٢)

جاء في «صحيح البخاري» «كتاب الصوم» «١٧٧١ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى أَخْبَرَنَا هِشَامُ بْنُ يُوسُفَ عَنِ ٱبْنِ جُرَيْجٍ قَالَ أَخْبَرَنِي عَطَاءٌ عَنْ أَبِي صَالِحٍ ٱلزَّيَّاتِ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهم يَقُولُ قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ٱللَّهُ: كُلُّ عَمَلِ ٱبْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا ٱلصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَٱلصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي ٱمْرُؤٌ صَائِمٌ وَٱلَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ ٱلصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ ٱللَّهِ مِنْ رِيحِ ٱلْمِسْكِ، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ».

زعموا أن إتيان النساء كان محرمًا على المسلمين ليلة الصيام كما على أهل الكتاب قبلهم بداعي ٱلآية: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (سورة البقرة ٢: ١٨٣). ثم أُحلَّ ذلك لهم ليلاً، وعليه فالمسلمون يعتقدون حرمان إتيان النساء في حالة حيضهن وحالة الصوم، ولكن للأسف قد أتى محمد ذلك بدون مسوِّغ شرعي كما رُوِيَ عَنْهُ.

جاء في «صحيح البخاري» «كتاب الصوم» «١٧٩٣ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ ٱلْمُثَنَّى حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنْ هِشَامٍ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبِي عَنْ عَائِشَةَ عَنِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحَدَّثَنَا عَبْدُٱللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ عَنْ مَالِكٍ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: إِنْ كَانَ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيُقَبِّلُ بَعْضَ أَزْوَاجِهِ وَهُوَ صَائِمٌ ثُمَّ ضَحِكَتْ».

وجاء أيضًا في «صحيح البخاري» «كتاب الحيض» «٣١١ حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ حَفْصٍ قَالَ حَدَّثَنَا شَيْبَانُ عَنْ يَحْيَى عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ أَبِي سَلَمَةَ حَدَّثَتْهُ أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ قَالَتْ: حِضْتُ وَأَنَا مَعَ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ٱلْخَمِيلَةِ فَانْسَلَلْتُ فَخَرَجْتُ مِنْهَا فَأَخَذْتُ ثِيَابَ حِيضَتِي فَلَبِسْتُهَا فَقَالَ لِي رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنُفِسْتِ قُلْتُ نَعَمْ فَدَعَانِي فَأَدْخَلَنِي مَعَهُ فِي ٱلْخَمِيلَةِ. قَالَتْ: وَحَدَّثَتْنِي أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُقَبِّلُهَا وَهُوَ صَائِمٌ وَكُنْتُ أَغْتَسِلُ أَنَا وَٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ مِنَ ٱلْجَنَابَةِ».

وجاء في «صحيح البخاري» «كتاب الصوم» «١٧٩٢ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ قَالَ عَنْ شُعْبَةَ عَنِ ٱلْحَكَمِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنِ ٱلْأَسْوَدِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَبِّلُ وَيُبَاشِرُ وَهُوَ صَائِمٌ

وَكَانَ أَمْلَكَكُمْ لِإِرْبِهِ وَقَالَ قَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ (مَآرِبُ) حَاجَةٌ قَالَ طَاوُسٌ (غَيْرِ أُولِي ٱلْإِرْبَةِ) ٱلْأَحْمَقُ لَا حَاجَةَ لَهُ فِي ٱلنِّسَاءِ».

وجاء في «صحيح مسلم» «كتاب الصيام» «١٨٥٣ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ عَنْ عُبَيْدِ ٱللهِ بْنِ عُمَرَ عَنِ ٱلْقَاسِمِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَبِّلُنِي وَهُوَ صَائِمٌ وَأَيُّكُمْ يَمْلِكُ إِرْبَهُ كَمَا كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْلِكُ إِرْبَهُ».

وجاء في «صحيح البخاري» «كتاب الصوم» «١٧٩٤ حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنْ هِشَامِ بْنِ أَبِي عَبْدِٱللهِ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ زَيْنَبَ ٱبْنَةِ أُمِّ سَلَمَةَ عَنْ أُمِّهَا رَضِيَ ٱللهُ عَنْهمَا قَالَتْ بَيْنَمَا أَنَا مَعَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ٱلْخَمِيلَةِ إِذْ حِضْتُ فَانْسَلَلْتُ فَأَخَذْتُ ثِيَابَ حِيضَتِي فَقَالَ مَا لَكِ أَنَفِسْتِ قُلْتُ نَعَمْ فَدَخَلْتُ مَعَهُ فِي ٱلْخَمِيلَةِ وَكَانَتْ هِيَ وَرَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَغْتَسِلَانِ مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ وَكَانَ يُقَبِّلُهَا وَهُوَ صَائِمٌ».

جاء في «صحيح مسلم» «كتاب الصيام» «١٨٥١ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَبِّلُ إِحْدَى نِسَائِهِ وَهُوَ صَائِمٌ ثُمَّ تَضْحَكُ».

جاء في «صحيح مسلم» «كتاب الصيام» «١٨٦٣ حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ ٱلْأَيْلِيُّ حَدَّثَنَا ٱبْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي عَمْرٌو وَهُوَ ٱبْنُ ٱلْحَارِثِ عَنْ عَبْدِ رَبِّهِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ كَعْبٍ ٱلْحِمْيَرِيِّ عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ أَنَّهُ سَأَلَ

رَسُولَ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُقَبِّلُ ٱلصَّائِمُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَلْ هَذِهِ لأُمِّ سَلَمَةَ فَأَخْبَرَتْهُ أَنَّ رَسُولَ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُ ذَلِكَ فَقَالَ يَا رَسُولَ ٱللَّهِ قَدْ غَفَرَ ٱللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَا وَٱللَّهِ إِنِّي لأَتْقَاكُمْ لِلَّهِ وَأَخْشَاكُمْ لَهُ».

جاء في «صحيح مسلم» «كتاب الصيام» «١٨٥٩ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ يَحْيَى أَخْبَرَنَا و قَالَ ٱلآخَرَانِ حَدَّثَنَا أَبُو ٱلأَحْوَصِ عَنْ زِيَادِ بْنِ عِلَاقَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَبِّلُ فِي شَهْرِ ٱلصَّوْمِ».

التعليق

من لا يتعجب من تفوُّه عائشة زوجة محمد بمثل هذا الكلام عن زوجها على مسامع المسلمين! ما الذي دعاها إلى إفشاء أسرار كثيرة عنه منافية للشرع؟ هل ذلك من باب التعظيم له أنه كنبي الله أُبيح له ما لم يبح لسواهُ؟ وإنه هو فوق الشرع!

ويظهر لنا من قولها للقوم «وَأَيُّكُمْ يَمْلِكُ إِرْبَهُ كَمَا كَانَ رَسُولُ ٱللَّهِ يَمْلِكُ إِرْبَهُ» نوع من المباهاة بأفعال محمد كخصائص امتاز بها عما سواه من الناس، والغريب أنه كيف عرفت عائشة أن محمدًا أفضل من أصحابه في تحكُّمِهِ في عضوه التناسلي؟ هل كان لها سابق خبرة معهم وبناء عليه

عرفت أن زوجها أفضل منهم؟ فمن أدراها بهم وإلى أي درجة يستطيعون التحكم في أعضائهم وضبط شهواتهم؟

ثم أنه لا يجيء قط في القرآن أن محمدًا بن عبد الله فوق الشرع (أي ليس تحت أوامر ونواهي القرآن)، بل إن كل دارس يرى أن أسلوب القرآن يبيِّن أن محمدًا كعبد لله هو أيضًا تحت الشرع ملتزم بالقيام بفرائضه وأحكامه. ألم يكن يصوم رمضان ويتوضأ ويقيم الصلاة حسب الفروض، ويستقبل الكعبة، ويحج إليها كواحد من المسلمين، ويتعبد بقراءة القرآن؟ بلى! إذًا هو تحت الشرع لا فوقه. أو ليس أن استغفار الله ذنوبه دليلٌ راهنٌ على أنه مسئول عن القيام بالشرع الذي جاء به ومؤاخذ بكل تعدٍّ منه على أحكامه، لأنه لو كان معفى من القيام بأحكام القرآن وحدود الشرع لما حُسِبَ له ذنبًا مهما فعل، ولا كان له من داع لاستغفار الله ذنوبه مئات المرات على مدى الأيام حتى الموت.

زعموا أن للنبي مباحات أُبيحت له من الله، كإباحة المكث في المسجد جنبًا، والزواج بأكثر من أربع نساء، والزواج بغير رضا المرأة (فلو رغب في التزوُّج بامرأة لزمها الإجابة وحرَّم على غيره خطبتها)، والتزوج بلا وليّ و لا شهود، وحل الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها.

فمن أين هذه الإباحيات؟ ومن أباحها لنبي الإسلام؟ وأين أجد هذه الإباحيات في القرآن؟ فإننا لا نرى القرآن يستثنى محمدًا من مثل هذه الأحكام، فكيف استثنى نفسه منها، وعلى أي مسوغ؟ لا نعلم!

فلو كانت أمثال هذه المذكورات مُباحة للنبي من دون المسلمين لأُشير إليها في القرآن، ولما لم يكن في القرآن إشارة دلَّ ذلك على أن أحكامه

عامة ومن ثم تكون هذه الإباحيات موضوعة، وما هي إلَّا وسيلة إخراج محمد من وصمة هذا العار.

وبعد امتلاك المرء إربه بعمل ما ينافي الشرع وتعدي حدود الله، باعتبار حرية إرادته إذا وافقته الظروف؛ يجعله قادرًا على فعل ذلك -وما أكثر المالكين أربهم بعمل ما ينافي إرادة ربهم ونواهي إلههم! فأي محل إذًا لمباهاة عائشة بما كان يأتي زوجها من محرمات القرآن بقولها «وَأَيُّكُمْ يَمْلِكُ إِرْبَهُ كَمَا كَانَ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْلِكُ إِرْبَهُ»؟

وأي معجزة في ذلك؟ إنَّ عائشة بقولها ما قالت عن زوجها قد أحطَّت من اعتباره كثيرًا، وأعطت مثالاً كبيرًا للجسديين الشهوانيين من أتباعه ليأتوا بمثل ما أتى من اختراق حدود الشرع متى شاءوا قائلين: «حسبنا بذلك نبينا كحسب التلميذ لمعلمه والتابع لمتبوعه».

ألم تقُل الآية: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَٱشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي ٱلْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ آيَاتِهِ﴾ (سورة البقرة ٢: ١٧٨). نزلت هذه الآية لأن جماعة من المسلمين خانوا أنفسهم بأن أتوا نسائهم ليلة الصيام إذ كان ذلك محرَّمًا عليهم بآية ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (سورة البقرة ٢: ١٨٣). ومنهم عمر بن الخطاب حتى قال له محمد لائمًا: «لم تكن بذلك جديرًا يا عمر»![٢] فالنَّص أعلن خيانة

٢ - راجع تفسير «الفخر الرازي».

القوم بما أتوا وأُحِلَ لهم رأفة بضعفهم ما كان محرَّمًا عليهم من مباشرة النساء ليلة الصيام بقى محرَّمًا عليهم مباشرتهن حالة الصوم.

أما محمد وعلى حسب ما روت عنه زوجته عائشة، وكما هو مُسطر عنه في كتب الأحاديث استباح لنفسه هذا المُحرَّم بمباشرته نسائه في حالة الصوم، بدون آية قرآنية تسوِّغ له ذلك. فكيف استباح ما كان خليقًا به أن تكون أول متجنِّب له، وهو أول المسلمين؟

كيف يلوم عمر على مباشرته زوجته حال الفطر وهو يفعل ذلك في حالة الصيام؟! فإن كان ذلك لا يجدر بصاحبه وتابعه فبالأولى لا يجدر به، أيحق له أن يحمِّل أصحابه وأتباعه حِملاً لا يستطيع حمله؟! أهذا شأن المشرِّع؟»

القدوة الحسنة والصالحة.

ذلك كان حال علماء اليهود في أيام السيد المسيح، فويَّلهم على ذلك بقوله لهم «فَقَالَ: **«وَوَيْلٌ لَكُمْ أَنْتُمْ أَيْضًا اَلنَّامُوسِيُّونَ، لأَنَّكُمْ تُحَمِّلُونَ اَلنَّاسَ أَحْمَالاً عَسِرَةَ اَلْحَمْلِ وَأَنْتُمْ لاَ تَمَسُّونَ اَلأَحْمَالَ بِإِحْدَى أَصَابِعِكُمْ»** (لوقا ١١: ٤٦). وهل جاء في التوارة عن موسى كليم الله الذي أعطى الله به الناموس لبني إسرائيل أنه يومًا ما استباح لنفسه حُكمًا من أحكامه، واستحلَّ حرامًا من محرماته، أو ادَّعى بإباحيات له من ربه؟! كلا، بل كان من أول القائمين بأحكام الشريعة التي جاء بها من الله، وهكذا الحال بالنسبة للسيد المسيح في وصاياه لتلاميذه وأتباعه بالحب الخالص حتى حب الأعداء، وعدم مقاومة الشر، وبالإحسان والمواساة إلى المبغضين والمسيئين وبركة

اللاعنين، والتزام جانب النزاهة والعفَّة والصدق والأمانة والحلم والوداعة والصبر، لقد كان السيد المسيح لتلاميذه المثال الأكمل في القيام بما أوصاهم به، جاعلاً سيرته المعصومة والمنزَّهة عن الخطاء، وحياته الصالحة الخيِّرة قاعد لسلوكهم وحياتهم في الدنيا؛ وعليه فقد دعاهم للتعليم منة والاقتداء به قائلا: «تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ ٱلْمُتْعَبِينَ وَٱلثَّقِيلِي ٱلأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ. اِحمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي، لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ ٱلْقَلْبِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ. لأَنَّ نِيرِي هَيِّنٌ وَحِمْلِي خَفِيفٌ» (متَّى ١١: ٢٨ و٢٩)، وقد قصد السيد المسيح بكلمة تعلَّموا منِّي ليس الكلام، بل صفاته وسيرته ومحبته وتواضعه ووداعته وصبره وعفافه وصلاحه، وبعد أن غسل أرجل تلاميذه في آخر يوم معهم قبل آلامه قال لهم: «لأَنِّي أَعْطَيْتُكُمْ مِثَالاً، حَتَّى كَمَا صَنَعْتُ أَنَا بِكُمْ تَصْنَعُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا» (يوحنا ١٣: ١٥).

أليس الأجدر بأنبياء الله ورسله ولاسيما المشرعين منهم أن يكونوا للناس مثالاً وقدوة حسنة بالقيام بما جاءوا به من الله من الشرائع والأحكام؟

أما هو جدير بمحمد وهو يزعم أنه نبي الله الأعظم ورسوله الأكرم أن يكون أول القائمين بما جاء به من الأحكام والفرائض!

أيجدر به أن ينهي عن أمرٍ كنهي الله ويأتي بمثله ويأمر أتباعه بالقيام بما لا يقوم به ويحمِّل مالا يستطيع أو لا يريد حمله، وهو يزعم أنه حكم الله؟

الفرق بين موسى كمشرِّع ومحمد كمشرِّع.

جاء في «صحيح مسلم» «كتاب الصيام» «١٨٧ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَٱبْنُ نُمَيْرٍ كُلُّهُمْ عَنِ ٱبْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ يَحْيَى أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنِ ٱلزُّهْرِيِّ عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ ٱلرَّحْمَنِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهم قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «هَلَكْتُ يَا رَسُولَ ٱللَّهِ». قَالَ: «وَمَا أَهْلَكَكَ؟» قَالَ: «وَقَعْتُ عَلَى ٱمْرَأَتِي فِي رَمَضَانَ». قَالَ: «هَلْ تَجِدُ مَا تُعْتِقُ رَقَبَةً؟» قَالَ: «لَا». قَالَ: «فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ؟» قَالَ: «لَا». قَالَ: «فَهَلْ تَجِدُ مَا تُطْعِمُ سِتِّينَ مِسْكِينًا؟». قَالَ: «لَا». قَالَ: ثُمَّ جَلَسَ فَأُتِيَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَرَقٍ فِيهِ تَمْرٌ فَقَالَ: «تَصَدَّقْ بِـهَذَا» قَالَ: «أَفْقَرَ مِنَّا فَمَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا أَهْلُ بَيْتٍ أَحْوَجُ إِلَيْهِ مِنَّا» فَضَحِكَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ ثُمَّ قَالَ: «ٱذْهَبْ فَأَطْعِمْهُ أَهْلَكَ». حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ ٱلزُّهْرِيِّ بِـهَذَا ٱلْإِسْنَادِ مِثْلَ رِوَايَةِ ٱبْنِ عُيَيْنَةَ وَقَالَ بِعَرَقٍ فِيهِ تَمْرٌ وَهُوَ ٱلزِّنْبِيلُ وَلَمْ يَذْكُرْ فَضَحِكَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ».

عجبًا لهذا التصرف من رجلٍ شهير كنبي الإسلام، يا تُرى أيستطيع القاريء بعد اطلاعه على روايات عائشة السالف ذكرها، ورواية أبي هريرة وشرح الآية «عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ» الهروب من انتقاد أمور نبي الإسلام هذه؟

عزيزي القارئ، انظر محمد حين شكى إليه ذلك الرجل هلاكه قائلاً: «هلكت يا رسول الله لأني وقعت على امرأتي في رمضان» لم يقل له محمد: «لا بأس عليك... ليس ذلك بجرم مهلك، ولكن لا عُدْتَ تأتيه»، بل أخذ يعرض عليه شتى أنواع وأعمال التكفير عن ذنبه، عمل وراء عمل، وذاك يتعذر بعدم الاستطاعة وهو يتساهل معه ويخفف عليه حتى أسفرت المسألة على لا شيء! لِمَا يا تُرى؟

هل كان في عُرْف محمد أن إتيان الرجل امرأته في رمضان ليس بذنب

مهلك؟ فلماذا إذًا التساهل والملاينة مع الرجل المعترف بذلته حتى إلى درجة إعفائه من كل عمل تكفيري عن تلك الزلة، بل زاد أن تكرَّم عليه بعرق تمرٍ إلى عياله. أمثل هذه المساومة من حق النبي المشرِّع؟ أليس الحق إذا تقدمت دعوى للنبي المشرِّع، وأُشكِلَ عليه حق الحكم فيها، أن يسأل الله إعلان الحُكم كما كان الأمر مع موسى بشأن ابن الإسرائيلية الذي جدَّف على الاسم المبارك وسبَّ فأمر موسى أن يوضع في المَحْرَس ليعلن لهم عن فم الرب الحُكم فيه «وَخَرَجَ ٱبْنُ ٱمْرَأَةٍ إِسْرَائِيلِيَّةٍ، وَهُوَ ٱبْنُ رَجُلٍ مِصْرِيٍّ، فِي وَسَطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. وَتَخَاصَمَ فِي ٱلْمَحَلَّةِ ٱبْنُ ٱلْإِسْرَائِيلِيَّةِ وَرَجُلٌ إِسْرَائِيلِيٌّ. فَجَدَّفَ ٱبْنُ ٱلْإِسْرَائِيلِيَّةِ عَلَى ٱلِٱسْمِ وَسَبَّ. فَأَتَوْا بِهِ إِلَى مُوسَى. وَكَانَ ٱسْمُ أُمِّهِ شَلُومِيَةَ بِنْتَ دِبْرِي مِنْ سِبْطِ دَانَ. فَوَضَعُوهُ فِي ٱلْمَحْرَسِ لِيُعْلَنَ لَهُمْ عَنْ فَمِ ٱلرَّبِّ. فَكَلَّمَ ٱلرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: «أَخْرِجِ ٱلَّذِي سَبَّ إِلَى خَارِجِ ٱلْمَحَلَّةِ، فَيَضَعَ جَمِيعُ ٱلسَّامِعِينَ أَيْدِيَهُمْ عَلَى رَأْسِهِ، وَيَرْجُمَهُ كُلُّ ٱلْجَمَاعَةِ.» (اللاويين ٢٤: ١٠ - ١٤). فإن كان الأول: فكيف تأتَّى له أن يتعدَّى حكمه بإتيانه ما قد نُهي عنه، ولا نسخ فيه لذلك النهي ولا أجازة له بذلك، ولا تحليل كما في نص تحليل إيمانه بسبب المسألة المشهورة بينه وبين زوجاته مارية وحفصة وعائشة كما ترى في (سورة التحريم ٦٦: ١-٣)؟ ألا يُعَدُّ ذلك استخفافًا منه بأوامر الله و نواهيه.

وإن كان الثاني: فلم ادَّعى أنه من عند الله، وألزم أصحابه بالقيام به ككلام الله وشرعه.

(٤) استغفار محمد ربه

جاء في «صحيح مسلم» الجزء الثاني ص ٦٨ «ٱللهم ٱغفر لي ذنبي كله دقه، وجله، أوله وآخره، سرَّه وعلانيته».

وجاء في كتاب «الأنوار المحمدية» ص ٥٧٤ ما يلي: «أخرج ٱلنسائي عن ٱبن عمر أنه سمع ٱلنبي ٱستغفر ٱلله ٱلذي لا إله إلَّا هو ٱلحي ٱلقيوم، وأتوب إليك في ٱلمجلس قبل أن يقوم مائة مرة»، وله عنه أيضًا «كنا لنعد لرسول ٱلله في ٱلمجلس رب ٱغفر لي وتب عليَّ أنت ٱلتوَّاب ٱلغفور مائة مرة»، «وأخرج ٱلنسائي عن أبي هريرة أن رسول ٱلله جمع ٱلناس فقال: يا أيها ٱلناس توبوا إلى ٱلله فإني أتوب إليه في ٱليوم مائة مرة».

وجاء في «صحيح البخاري» الجزء الرابع ص ٥٨٥ ما يلي «إن عائشة أصغت إلى ٱلنبي قبل أن يموت وهو مستند إلى ظهره يقول: «ٱللهم ٱغفر لي وٱرحمني وألحقني بالرفيق ٱلأعلى».

التعليق

استغفار الله الذنوب شأن كل مؤمن بالله متيقّظ الضمير، عارف ذاته كخاطٍ أثيم مذنب إلى ربه. وعلى قدر الشعور بسماجة الخطية تكون حرارة الاستغفار. ولنا فيما سبق ذكره أمران

الأمر الأول: إن نبي الإسلام كان شديد الشعور بخطاياه وبعظم

مسئوليته إلى الله بسببها، وذلك واضح من النص الذي فاه به محمد عن فم الله ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ٱلَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ (سورة الشرح ٩٦: ٢، ٣) فمن لا يرى هذا النص إلّا كجواب لاستغفار حار مكرّر عن أوزار أثقلت محمد! مع أن الاستغفار لا يشين محمد كإنسان قد ثقلت على قلبه وطأة الخطية، لكنه يسقطه من مقام كبار أنبياء الله، كإبراهيم وموسى وأليشع والسيّد المسيح، الذي ما جاء قط في الكتاب المقدّس عن أحد منهم أنه أتى مثل هذا الاستغفار، ولا أن الله أوحى إليه أنه غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، ولا وضع عنه وزره الذي أنقض ظهره. مع أنهم جميعًا ما كانوا بلا خطية إلّا المسيح ابن مريم.

أما السيد المسيح البار الذي فضلاً عن شهادة الكتاب لكماله وبرارته من كلّ إثم، لم يُذكر له في القرآن ذنب أو استغفار أو توبة، ولا كلمة أن الله غفر له، وتاب عليه. لماذا؟! وما سرُّ ذلك؟! وعلام يدل؟! وما أعظم الفرق بين قول محمد: «اللهم اغفر لي ذنبي كلّه، دقه وجله، سرّه وعلانيته» وبين قول ربنا ومخلّصنا يسوع المسيح: (يو ٨: ٢٩) «وَٱلَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ مَعِي وَلَمْ يَتْرُكْنِي ٱلآبُ وَحْدِي لأَنِّي فِي كُلِّ حِينٍ أَفْعَلُ مَا يُرْضِيهِ». وقوله أيضًا: (يو ٨:٤٦). «مَنْ مِنْكُمْ يُبَكِّتُنِي عَلَى خَطِيَّةٍ؟».

عزيزي القارئ: إن السيد المسيح لم يكن له ذنب ولا إثم بينما محمد مثقل الظهر بالأوزار و الآثام.

الأمر الثاني: يظهر لنا من رواية عائشة المتقدم ذكرها، أن تلك النصوص القرآنية قد «غفر لك» ... «لقد تاب الله على النبي» ... «ووضعنا عنك وزرك» ... الخ ما كانت إلّا وسيلة لتريح نفس محمد من حِمْل أوزاره التي كان لم يزل في حالة احتضاره يشعر بها وبثقلها على قلبه؛ حتى سأل

الله الغفران والرحمة.

لماذا يا تُرى؟!

كيف يمكن أن يكون الرحمن وضع عن محمد وزره وهو لم يزل يشعر بثقلها على ظهر نفسه حتى الدقيقة الأخيرة من حياته؟!

أليس ذلك إشكالاً ليس له حلاً؟!

وألا يدل ذلك على شك في نفس رسول الإسلام بكون تلك النصوص من عند الله؟! وإلَّا ما دعاه يا تُرى إلى مداومة الاستغفار وسؤاله الرحمن حتى لحظة احتضاره؛ ولأنه إن كان هو مؤكِّدًا نزول تلك النصوص عليه من الله فلا داع له إلى دوام طلب المغفرة الدال على عدم تصديقه تلك الأقوال. وما مثل نبي الإسلام بذلك إلَّا مثل شخص مديون بمبلغ من المال إلى إنسان ما، يسألهُ أن يترك له ما عليه من الدَّيْن بداعي فقره وعدم مقدرته على الوفاء. وذلك الدائن قد أجابه إلى طلبه وصرَّح له أكثر من مرَّةٍ أنه ترك له ما عليه وسامحه، فيعود المديون بعد ذلك يسترحمه ويسأله أن يسامحه بما له عليه من المال، كغير فاهم كلامه أو غير مصدِّقه.

والخلاصة إن نبي الإسلام إما أن يكون مصدِّقًا لنصوص الغفران له أنه من عند الله أو غير مصدق. فإن كان مصدقاً أنها تنزيل السميع العليم فلزم أن يستريح كمن قد سقط عنه حمله الثقيل ويكُفُّ عن الاستغفار. وإن كان غير مصدق أنها تنزيل الله دلَّ ذلك على أنه تعلَّم القرآن من الناس، وقال لهم إنه من الله إليه، لذلك لم يتأكد غفران الله ذنوبه.

ثم أنه بقوله حين دنو أجله «اَللهُمْ ٱغْفِرْ لِي وَٱرْحَمْنِي» دلاله على معرفته أن الإنسان الخاطئ لا يدخل الجنة بعمله، بل برحمة الله كما روى

أنه قال يومًا ما لأصحابه: «حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ يَعْنِي ٱبْنَ زَيْدٍ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يُدْخِلُهُ عَمَلُهُ ٱلْجَنَّةَ» فَقِيلَ: «وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ ٱللهِ؟» قَالَ: «وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي رَبِّي بِرَحْمَةٍ!» (صحيح «مسلم»، كتب صفة القيامة والجنة والنار، حديث رقم ٥٣٧).

لزوم كفَّارة المسيح

حسنًا! غير أنه في المسألة أمر لا يغنى عنه، وهو إن الله عادلٌ كما هو رحوم، فإذا رَحِمَ فإن ذلك يكون بعدلٍ. إذ يستحيل في الله أن يدع رحمته تضاد حق عدله، وهنا إشكالٌ لا حلَّ له إلَّا الفداء بيسوع المسيح البار الذي مات مرَّة لأجل الخطاة، حمل الله الوديع المشار إليه بفداء ابن إبراهيم بالكبش الموجد من لدن الله، الأمر المنبأ عنه كثيرًا في التوراة والمُعلن عنه صريحًا في إنجيل الله المبارك، هدى لمن اهتدى.

فبيسوع المسيح وفاق العدل والرحمة، وبه نعمة الحياة الأبدية.لكل من يؤمن بقلبه.

(٥) عذاب القبر

جاء في «صحيح البخاري» «كتاب الدعوات الكبيرات» «٥٨٩ حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ حَدَّثَنَا ٱلْمُعْتَمِرُ قَالَ سَمِعْتُ أَبِي قَالَ سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهم يَقُولُ كَانَ نَبِيُّ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ ٱللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ ٱلْعَجْزِ وَٱلْكَسَلِ وَٱلْجُبْنِ وَٱلْبُخْلِ وَٱلْهَرَمِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ ٱلْقَبْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ ٱلْمَحْيَا وَٱلْمَمَاتِ»

وجاء أيضًا في «صحيح البخاري» «كتاب الجنائز» «١٢٨٣ حَدَّثَنَا عَبْدَانُ أَخْبَرَنِي أَبِي عَنْ شُعْبَةَ سَمِعْتُ ٱلأَشْعَثَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا أَنَّ يَـهُودِيَّةً دَخَلَتْ عَلَيْهَا فَذَكَرَتْ عَذَابَ ٱلْقَبْرِ فَقَالَتْ لَهَا أَعَاذَكِ ٱللهُ مِنْ عَذَابِ ٱلْقَبْرِ فَسَأَلَتْ عَائِشَةُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَذَابِ ٱلْقَبْرِ فَقَالَ نَعَمْ عَذَابُ ٱلْقَبْرِ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدُ صَلَّى صَلَاةً إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ ٱلْقَبْرِ زَادَ غُنْدَرٌ عَذَابُ ٱلْقَبْرِ حَقٌّ»

وجاء في كتاب «الأنوار المحمّديَّة» صفحة ٥٦٨ ما يلي: «كان يتعوَّذ فيقول: «ٱللهم إني أعوذ بك من عذاب ٱلقبر». (رواه الشيخان من حديث أنس)

وجاء في «صحيح البخاري» «كتاب الجنائز» «١٢٨٨ حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا هِشَامٌ حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ

عَنْهم قَالَ كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو وَيَقُولُ ٱللهُ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ ٱلْقَبْرِ وَمِنْ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَمِنْ فِتْنَةِ ٱلْمَحْيَا وَٱلْمَمَاتِ وَمِنْ فِتْنَةِ ٱلْمَسِيحِ ٱلدَّجَّالِ»

وجاء في «صحيح البخاري» «كتاب الجهاد واليسر» «٢٦١حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ حَدَّثَنَا عَبْدُٱلْمَلِكِ بْنُ عُمَيْرٍ سَمِعْتُ عَمْرَو بْنَ مَيْمُونٍ ٱلأَوْدِيَّ قَالَ كَانَ سَعْدٌ يُعَلِّمُ بَنِيهِ هَؤُلَاءِ ٱلْكَلِمَاتِ كَمَا يُعَلِّمُ ٱلْمُعَلِّمُ ٱلْغِلْمَانَ ٱلْكِتَابَةَ وَيَقُولُ إِنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْهُنَّ دُبُرَ ٱلصَّلَاةِ ٱللهُ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ ٱلْجُبْنِ وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ ٱلدُّنْيَا وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ ٱلْقَبْرِ فَحَدَّثْتُ بِهِ مُصْعَبًا فَصَدَّقَهُ»

جاء في «صحيح البخاري» «كتاب الجنائز» «١٢٥٢ حَدَّثَنَا عَيَّاشٌ حَدَّثَنَا عَبْدُٱلأَعْلَىٰ حَدَّثَنَا سَعِيدٌ قَالَ وَقَالَ لِي خَلِيفَةُ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ حَدَّثَنَا سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهم عَنِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ٱلْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ فَيَقُولَانِ لَهُ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا ٱلرَّجُلِ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ ٱللهِ وَرَسُولُهُ فَيُقَالُ ٱنْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ ٱلنَّارِ أَبْدَلَكَ ٱللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ ٱلْجَنَّةِ قَالَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا وَأَمَّا ٱلْكَافِرُ أَوِ ٱلْمُنَافِقُ فَيَقُولُ لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ ٱلنَّاسُ فَيُقَالُ لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا ٱلثَّقَلَيْنِ»

جاء في «صحيح البخاري» كتاب «الآذان» «٩٩١ حَدَّثَنَا عَبْدُٱللهِ بْنُ مَسْلَمَةَ عَنْ مَالِكٍ عَنْ يَحْيَىَ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ ٱلرَّحْمَنِ عَنْ

عَائِشَةَ زَوْجِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ يَـهُودِيَّةً جَاءَتْ تَسْأَلُهَا فَقَالَتْ لَهَا أَعَاذَكِ ٱللهُ مِنْ عَذَابِ ٱلْقَبْرِ فَسَأَلَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُعَذَّبُ ٱلنَّاسُ فِي قُبُورِهِمْ فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَائِذًا بِاللهِ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ غَدَاةٍ مَرْكَبًا فَخَسَفَتِ ٱلشَّمْسُ فَرَجَعَ ضُحًى فَمَرَّ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ ظَهْرَانَيِ ٱلْحُجَرِ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي وَقَامَ ٱلنَّاسُ وَرَاءَهُ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلاً ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلاً ثُمَّ رَفَعَ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلاً وَهُوَ دُونَ ٱلْقِيَامِ ٱلأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلاً وَهُوَ دُونَ ٱلرُّكُوعِ ٱلأَوَّلِ ثُمَّ رَفَعَ فَسَجَدَ ثُمَّ قَامَ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلاً وَهُوَ دُونَ ٱلْقِيَامِ ٱلأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلاً وَهُوَ دُونَ ٱلرُّكُوعِ ٱلأَوَّلِ ثُمَّ قَامَ قِيَامًا طَوِيلاً وَهُوَ دُونَ ٱلْقِيَامِ ٱلأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلاً وَهُوَ دُونَ ٱلرُّكُوعِ ٱلأَوَّلِ ثُمَّ رَفَعَ فَسَجَدَ وَٱنْصَرَفَ فَقَالَ مَا شَاءَ ٱللهُ أَنْ يَقُولَ ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَتَعَوَّذُوا مِنْ عَذَابِ ٱلْقَبْرِ»

جاء في «صحيح البخاري» «كتاب الجنائز» «١٢٨ حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ مَرْثَدٍ عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ عَنِ ٱلْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهمَا عَنِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا أُقْعِدَ ٱلْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ أُتِيَ ثُمَّ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ ٱللهِ فَذَلِكَ قَوْلُهُ: «يُثَبِّتُ ٱللهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ» حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ بِـهَذَا وَزَادَ «يُثَبِّتُ ٱللهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا» نَزَلَتْ فِي عَذَابِ ٱلْقَبْرِ»

التعليق

مصادر الإسلام:

نستنتج من هذه القصة أمرين:

الأول: إن مصدر هذه القصة يهوديتان، الأمر الباعث إلى التفكير إذا كان محمد حقيقة اتخذ كلام هاتين العجوزتن -إن أهل القبور يعذَّبون في قبورهم- على محمل الصدق والصحة، حتى جعله من أساسات دينه، وأصبح يتعوَّذ منه كثيرًا. فذلك يعضدد تهمة المشركين إيَّاهُ تأليف القرآن بمساعدة أهل الكتاب ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ ٱفْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الفرقان ٢٥: ٤، ٥) لأنه إن حلَّ حديث بعض العجائز في ذهنه محل اليقين -وعقول العجائز في الغالب هي مخازن للخرافات والأوهام- فبالأولى من ذلك قصص وأحاديث مجاوريه من رجال اليهود وبعض المسيحيين.

الثاني: إن ذلك يطعن في نبوَّته، ويرفع الأمان عن شرعه وسُنَّتِهِ لاحتمال وقوع كثير منها، أو ما هو أكثر أهمية مسندًا إلى ذلك الحديث أو مأخوذ عن جهلاء القوم الخرافيين المحيطين به.

ورب معترض يقول: «إن النبي لم يعتقد بذلك بناء على قول العجوزتين، إنما أُوحى إليه ذلك من الله».

وللردِّ نقول: «إن الذين يقولون ذلك لم يستخدموا عقولهم، لأن هذا الكلام مرفوض لسببين:

السبب الأول: «لو كان إلى النبي نبأ ذلك من قبل ما خفي على

عائشة، بل أن عائشة كذَّبت كلام العجوزتين، فلو كان ذلك لكانت إجابتها للعجوزتين: نعم إني أعلم ذلك من رسول الله فلم تنعم أن تصدقهما، وقصَّت حديثها على زوجها محمد كأمر لا يجدر تصديقه، وهذا يدل على أن نبي الإسلام لم يقل ذلك من قبل، ولعل لم يخطر على باله».

السبب الثاني: «إنه ما سُمِعَ محمد يتعوَّذ من عذاب القبر إلَّا بعد أن قصَّت عائشة حديث العجوزتين إذ قالت:؟ فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّىَ ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدُ صَلَّىَ صَلَاةً إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ ٱلْقَبْرِ» وسأبرهن لكم الآن أن هذا الحديث مناف للعقل والنقل:

أولًا: منافاته للنقل.

لا توجد أي إشارة إلى ذلك في الكتاب المقدَّس. فإذا طالعت التوارة والإنجيل لا تجد أقل إشارة إلى أن الأموات يعذَّبون في قبورهم، إنما يُشَارُ إلى القبر في الكتاب المقدَّس كمكان راحة للأجساد كما في (إشعياء ٢: ٥٧) (دانيال ١٢: ١٣) (رؤيا ١٤: ٣) كما أنه يعلن أن أرواح الصالحين تنطلق حال انفصالها من الجسد إلى ربها في سماء المجد كما في (جامعة ١٢: ٧)، (لوقا ٢٣: ٤٣)، (١كورنثوس ٥: ٦ - ٧)، (فيلبي ١: ٢٣).

كما أن القرآن في قصص بعض الأنبياء كآدم ونوح وإبراهيم ويوسف وموسى لا يشير أبدًا أن أحدهم كان يخاف عذاب القبر أو تعوَّذ منه، حتى أنه لم يُسمَع بوجود هذه العقيدة عند الأمم الوثنية، ولا أظنُّ أنه مدوَّن في كتبهم الدينية. ولا نعلم من أين جاءت هاتان العجوزتان بذلك الكلام؟! ولكن يُحتمل أنه قديمًا كانوا يعجِّلون بدفن الموتى، ولما لم يكن لهم إلمام بالطب الحديث كانوا يدفنون من هو حيٌّ بصورة ميت، ويظنه القوم أنه

ميت، وبعد حين من إغمائه رأى نفسه في القبر فأخذ يئنُّ ويستغيث. وكثيرًا يحدث في القبائل البدائية ببعض الذين يُعجَّل بدفنهم، لظنهم أنهم ماتوا حالة كونهم فيهم رمق الحياة تحت ظل ما يشبه الموت؛ وللجهل بالحقيقة توهَّم السامعون أن الميت يُعذَّب في قبره؛ وهكذا تأصَّل هذا الموت في عقول السُّذَّج. ويُحتمل أن هاتين العجوزتين وهما من المكر والدهاء بمكان أرسلتا إلى بيت نبي الإسلام بقصد تزرعان فيه بذرة الخرافة ليكون ذلك سهمًا طاعنًا في دعواه النبوة والرسالة.

ثانيًا: منافاته للعقل

(١) لو وضعنا الميت في غرفة ذات نافذة صغيرة بحيث يُرى ويُسمع إذا أنَّ أو تكلَّم وحرسناه ليال إلى أن تحلَّل، لا نراه ينتبه أو يستغيث، وكثيرًا ما يؤخر دفن الميت مدة طويلة فيبقى يومين أو ثلاثة أيام لا يُرى عليه شيء من ذلك ولا تبدو منه حركة، وقدماء المصريين كانوا يحنِّطون جثث موتاهم وكانت مدة التحنيط تستغرق أربعين يومًا، ولا خبر في التاريخ ولا إشارة إلى حدوث شيء مما ذُكِر لتلك الجثث، وقيل إن بعضهم كانوا يبقون جثث موتاهم في بيوتهم بعد تحنيطها أيامًا طويلة حتى تساعدهم الظروف على الاحتفاء بدفنها كما يرغبون، ولم يُذكر أنها كانت تئن أو تصرخ من عذاب القبر.

(٢) معلوم أن جثة الميت يأخذ فيها الفساد تدريجيًا بعد الموت، وكثيرًا ما أُعيق دفن الميت أكثر من المقتضى ولاسيما في فصل الصيف حيث تتحلل جثة الميت بحيث لا تُحتمل رائحتها، وذلك دليل على عدم صلاحيتها بعد لسكن الروح ما لم يعيدها القدير إلى حالتها الأولى، وهو مختص بيوم البعث والنشور، ولا بعث في مسألة عذاب القبر.

(٣) شاعت العادة منذ قرون عديدة حتى اليوم عند كثير من الأمم أن يحرقوا جثث موتاهم إلى أن تصير رمادًا. فهل يُعذَّب الرماد؟! وكثيرًا تأكلهم الوحوش الضارية وتبتلعهم الحيتان فهل بعد موتهم هكذا يُعذَّبون في بطون الوحوش والحيتان وقد صارت أبدانهم نتفًا وهُضِمَت؟ وبعض الناس يموتون بتقطيع أجسادهم إربًا إربًا وتُفرَّق تلك القطع على وجه الصحراء، ويؤكل بعضها كل يوم من الكلاب والجوارح، فهل ترى تجمع تلك القطع إلى بعضها على أثر ذلك، ويُعاد كل إلى مكانه ويوصَّل بالبقية الباقية فيعود الجسد إلى نظامه وتعود إليه الروح فيُعذَّب!! هل سُمع مثل ذلك أو نُظر؟!

إذًا عقيدة عذاب الميت في قبره خرافة من أسخف الخرافات لمنافاتها للعقل والنقل والخبرة. ومن هو الإنسان الذي لا يستغرب من قبول نبي الإسلام خرافة عجائزية عديمة الاعتبار. وعلى افتراض المحال أن الأموات حسب خرافة هاتين العجوزتين يُعذَّبون في قبورهم، فهم على ما يذهب محمد في أمر الملاكين ناكر ونكير (أو منكر ونكير على ظن البعض) اللذان يأتيان الميت حديث العهد في قبره ويستنطقانه، وهم الأموات غير المؤمنين وغير التائبين، فأي داع إذا لخوفه من ذلك خوفًا يدفعه إلى التعوُّذ بالله منه. وهو على دعواه نبي الله الأعظم ورسوله الأكرم. هل داخله الشك بدعواه (يونس ١٠: ٩٤) ورجع في قلبه عما رواه عن نفسه حتى أرعبه بهذا المقدار حديث خرافة بعض العجائز؟!

ولعل القارئ العزيز استخشن كلامي بشأن محمد، وإن رآها بجانب الحق فأرجو منه المعذرة، فإذا كان الميت بشهادته لمحمد أنه عبد الله ورسوله، ينجو من عذاب القبر، ويرى لطيبة نفسه مقعدًا في الجنة فكم بالأولى محمد نفسه؟ فإذا كان لا يجوز على الشاهد لمحمد في قبره عذاب

القبر، فكم بالأولى لا يجوز على محمد؟ فلِمَ إذًا تعوُّذة الدائم بالله منه؟ وهل يكون الخوف والاحتساب من العذاب عقيب الموت إلَّا من قبيل فقدان السلام مع الله؟ وفقدان السلام ناتج عن ضعف الإيمان وإن لم ل عدمه. فهل كان نبي الإسلام كذلك؟! وإلَّا فكيف نبرِّر تعوُّذة الدائم بالله من عذاب القبر، الأمر الذي كما ذكرتُ من قبل لا يُرى مثله في الكتاب المقدَّس.

نسخة كاملة هدية

(٦) الإباحة للعبد المستغفر ذنبه بعمل ما شاء

جاء في «صحيح مسلم» «كتاب التوبة» «٤٩٥٣ حَدَّثَنِي عَبْدُ ٱلأَعْلَى بْنُ حَمَّادٍ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ إِسْحَقَ بْنِ عَبْدِٱللهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ عَبْدِ ٱلرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: «أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا فَقَالَ: ٱللهُ ٱغْفِرْ لِي ذَنْبِي.» فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ ٱلذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: «أَيْ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي ذَنْبِي.» فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ ٱلذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ. فَقَالَ: «أَيْ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي ذَنْبِي» فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ ٱلذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ٱعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ.» قَالَ عَبْدُ ٱلأَعْلَى: «لَا أَدْرِي أَقَالَ فِي ٱلثَّالِثَةِ أَوِ ٱلرَّابِعَةِ ٱعْمَلْ مَا شِئْتَ.» قَالَ أَبُو أَحْمَدَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ زَنْجُوَيَةَ ٱلْقُرَشِيُّ ٱلْقُشَيْرِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ ٱلأَعْلَى بْنُ حَمَّادٍ ٱلنَّرْسِيُّ بِهَذَا ٱلإِسْنَادِ حَدَّثَنِي عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ حَدَّثَنِي أَبُو ٱلْوَلِيدِ حَدَّثَنَا هَمَّامٌ حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ عَبْدِٱللهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ قَالَ كَانَ بِالْمَدِينَةِ قَاصٌّ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ ٱلرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي عَمْرَةَ قَالَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: «سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ عَبْدًا أَذْنَبَ ذَنْبًا بِمَعْنَى حَدِيثِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ وَذَكَرَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَذْنَبَ ذَنْبًا

وَفِي ٱلثَّالِثَةِ قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ».

التعليق

قد كثرت الروايات والأحاديث المحمدية المفسحة للناس مجال ارتكاب الخطايا والمعاصي والجرائم، فإن كان نبي الإسلام قال ذلك بل الله كما يزعم، فلماذا يوجد حُكْم بقصاص الزاني والسارق والقاتل؟! هل يؤاخذ الإنسان بما أباحه الله له كما رأيت في الرواية السالف ذكرها؟!

هل الله يأمر بالفسق؟!

من لا يقف عند هذه الإباحة: «ٱعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ». وقفة المنكر المتحيِّر، ومن لا يُبَرِّأ الله القدوس من إباحته لمستغفره، وهو الناهي عن الظلم والفحشاء، والآمر بالمعروف والتقوى. والخلاصة: ها لك أيها العبد المذنب والمستغفر ذنبك، بحسب هذا الحديث، إباحة مقترنة بالغفران لذنوبك السالفة، فاذهب وامرح كيف شئت، لا يهمك بعد إن كان اسمك أحمد أو محمد، ولا فرق إن وفيَّت دينك أولم تفه، وإن كان مات لك صغار أولم يمُت.

هل يصدِّق علماء المسلمون أن نبيهم تفوَّه بمثل هذا الحديث؟ لا شك أن من صدَّق الروايات السالفة لا يصعب عليه تصديق هذه العقيدة؛ لأنها كلها من فصيلة واحدة ومعدن واحد.

والحقيقة هي أن نبي الإسلام قائل تلك الأقوال، والأقوال الواردة في الفصول التالية (بشأن دخول الجنة) لا يبعد أنه هو القائل أيضًا هذا القول: «ٱعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ». لأن الروح في الكل واحد والنتيجة

واحدة، وهى الاستخفاف بالمنكر واستحلال المحرم.

فهل الله القدُّوس الناهي عن الفحشاء يبيح للإنسان عمل ما شاء من الذنوب لأنه استغفره مرتين أو ثلاث مرات على ذنب ارتكبه؟! هل الله ضجر من تكرار استغفار ذلك العبد، فقال له: «ٱعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ»؟! حاشا! وأين هذا من قول ربِّنا ومخلِّصنا يسوع المسيح للمرأة الزانية التي قُدِّمَت له ليحكم عليها: «وَلَا أَنَا أَدِينُكِ. ٱذْهَبِي وَلَا تُخْطِئِي أَيْضًا» (يوحنا ٨: ١١) وقوله للمفلوج: «هَا أَنْتَ قَدْ بَرِئْتَ، فَلَا تُخْطِئْ أَيْضًا، لِئَلَّا يَكُونَ لَكَ أَشَرُّ» (يوحنا ٥: ١٤).

عزيزي القارىء، ما أسهل مثل هذا الاستغفار على العبد المذنب. إن أشرَّ الناس وأسقطهم يستطيعونه على أثر ارتكابهم الذنوب، كما في أمر: «قُلْ هُوَ ٱللهُ أَحَدٌ عَشْرِ مَرَّاتٍ» ولعل هذا الحديث هو سبب ما يُسْمَعُ كثيرًا من سفلة القوم وسفهائهم على أثر سبِّهم الدين «ٱستغفر ٱلله ٱستغفر ٱلله» على غير خشية ولا توبة قلبية. وكم من أُناس يستغفرون الله بالتمتمة على حساب المسبحة بدون ما يدل على احساسات الخشوع والاتضاع أمام الله، وكأنهم يؤدُّون حسابًا فُرِضَ عليهم أو وجب ذمتهم. الذين كثيرون منهم إذا حاكهم حاكٌ في أثناء ذلك بكلمة ما تحطُّ بكرامتهم تطايرت من عيونهم شرارات الشرِّ، وقذفت أفواههم المستغفرة حِمَمَ اللعنات والشتائم غير اللائقة بالمؤمنين التوَّابين. ثم يعودوا مرة أُخرى إلى استكمال حساب الاستغفار -ٱستغفر ٱلله- وكأنهم يقولون في أنفسهم: «لا بأس علينا من إتيان الذنوب وقلة الأدب، فنحن نتبعها باستغفارنا ربنا، وهو على حسب شهادة نبينا يغفر لعبده المذنب المستغفر ماضي ذنبه ومستقبله».

هل يُعقل أن الله يرتضى من الإنسان باستغفارات قلت أو كثرت

وهي مقتصرة على الشفاه دون القلب؟!

هل الله يقبل استغفارات وهي غير نابعة عن بُغض الخطية وكره المعاصي وحب للصلاح؟! بل عن نفس لا تزال طامحة وجامحة إلى ارتكاب الآثام والمحارم، غير تائبة إلى ربها توبة حقيقية توبة الأسف والندم الحار على ما سلف منها من المعاصي والذنوب؟

حسنًا! فمن أين جاءت هذه الأحاديث المنافية لقداسة الله وعدله، والتي لا يتوقع من امرئ خائف الله اعتبارها.

نسخة كاملة هدية

(٧) زواج المتعة

ما كنتُ لأرض لمحمد بهذا الحادث المحدَّث عنه من أصحابه ورجاله، ولا لأُجارى القوم بخطه في هذا الكتاب، ولا الإقدام على النظر فيه لانتقاده؛ لولا مسيس الحاجة. فعفوًا ومعذرة للمسلم الذي لا أراهُ راضيًا عنه، بل لابد أنه ينكِّت عليه في قلبه إن لم يستطع بلسانه أو قلمه.

جاء في «صحيح البخاري» «كتاب النكاح» «٤٦٨٦ حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ إِسْمَاعِيلَ عَنْ قَيْسٍ قَالَ: قَالَ عَبْدُاللهِ: «كُنَّا نَغْزُو مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَيْسَ لَنَا شَيْءٌ فَقُلْنَا أَلَا نَسْتَخْصِي[٣] فَنَهَانَا عَنْ ذَلِكَ ثُمَّ رَخَّصَ لَنَا أَنْ نَنْكِحَ الْمَرْأَةَ بِالثَّوْبِ ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْنَا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾» وَقَالَ أَصْبَغُ: أَخْبَرَنِي ابْنُ وَهْبٍ عَنْ يُونُسَ بْنِ يَزِيدَ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهم قَالَ: قُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي رَجُلٌ شَابٌّ وَأَنَا أَخَافُ عَلَى نَفْسِي الْعَنَتَ وَلَا أَجِدُ مَا أَتَزَوَّجُ بِهِ النِّسَاءَ. فَسَكَتَ عَنِّي ثُمَّ قُلْتُ مِثْلَ ذَلِكَ فَسَكَتَ عَنِّي ثُمَّ قُلْتُ مِثْلَ ذَلِكَ فَسَكَتَ عَنِّي ثُمَّ قُلْتُ مِثْلَ ذَلِكَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا أَنْتَ لَاقٍ فَاخْتَصِ عَلَى ذَلِكَ أَوْ ذَرْ» (وكذلك «البخاري» كتاب النكاح ٤٦٨٣).

٣ - «ألَا نَختصي؟» أي: نَنزِعُ الخُصْيتينِ؛ وذلك حتَّى لا يَشْعُروا بِشَهوةِ النِّساءِ

جاء في «صحيح مسلم» «كتاب النكاح» «٢٤٩٣ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ نُمَيْرٍ ٱلْهَمْدَانِيُّ حَدَّثَنَا أَبِي وَوَكِيعٌ وَٱبْنُ بِشْرٍ عَنْ إِسْمَعِيلَ عَنْ قَيْسٍ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ ٱللهِ يَقُولُ كُنَّا نَغْزُو مَعَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ لَنَا نِسَاءٌ فَقُلْنَا أَلَا نَسْتَخْصِي فَنَهَانَا عَنْ ذَلِكَ ثُمَّ رَخَّصَ لَنَا أَنْ نَنْكِحَ ٱلْمَرْأَةَ بِالثَّوْبِ إِلَى أَجَلٍ ثُمَّ قَرَأَ عَبْدُ ٱللهِ ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ ٱللهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ ٱللهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ (سورة المائدة ٥: ٨٧) وحَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ إِسْمَعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ بِهَذَا ٱلْإِسْنَادِ مِثْلَهُ وَقَالَ ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْنَا هَذِهِ ٱلْآيَةَ وَلَمْ يَقُلْ قَرَأَ عَبْدُ ٱللهِ وحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ إِسْمَعِيلَ بِهَذَا ٱلْإِسْنَادِ قَالَ كُنَّا وَنَحْنُ شَبَابٌ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ ٱللهِ أَلَا نَسْتَخْصِي وَلَمْ يَقُلْ نَغْزُو».

جاء في «صحيح البخاري» «كتاب نكاح» «٤٧٢٤ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبِي جَمْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ ٱبْنَ عَبَّاسٍ سُئِلَ عَنْ مُتْعَةِ ٱلنِّسَاءِ فَرَخَّصَ فَقَالَ لَهُ مَوْلًى لَهُ: إِنَّمَا ذَلِكَ فِي ٱلْحَالِ ٱلشَّدِيدِ وَفِي ٱلنِّسَاءِ قِلَّةٌ أَوْ نَحْوَهُ فَقَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ نَعَمْ».

جاء في «صحيح مسلم» «كتاب نكاح» «٢٤٩٤ وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ قَالَ سَمِعْتُ ٱلْحَسَنَ بْنَ مُحَمَّدٍ يُحَدِّثُ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ وَسَلَمَةَ بْنِ ٱلْأَكْوَعِ قَالَا خَرَجَ عَلَيْنَا مُنَادِي رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَسْتَمْتِعُوا يَعْنِي مُتْعَةَ ٱلنِّسَاءِ».

جاء في «صحيح البخاري» «كتاب نكاح» «٤٧٢٥ حَدَّثَنَا عَلِيٌّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ عَمْرٌو عَنِ ٱلْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ وَسَلَمَةَ بْنِ ٱلْأَكْوَعِ قَالَا كُنَّا فِي جَيْشٍ فَأَتَانَا رَسُولُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فَقَالَ إِنَّهُ قَدْ أُذِنَ لَكُمْ أَنْ تَسْتَمْتِعُوا فَاسْتَمْتِعُوا وَقَالَ ٱبْنُ أَبِي ذِئْبٍ حَدَّثَنِي إِيَاسُ بْنُ سَلَمَةَ ٱبْنِ ٱلأَكْوَعِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّمَا رَجُلٍ وَٱمْرَأَةٍ تَوَافَقَا فَعِشْرَةُ مَا بَيْنَهُمَا ثَلَاثُ لَيَالٍ فَإِنْ أَحَبَّا أَنْ يَتَزَايَدَا تَزَايَدَا أَوْ يَتَتَارَكَا تَتَارَكَا فَمَا أَدْرِي أَشَيْءٌ كَانَ لَنَا خَاصَّةً أَمْ لِلنَّاسِ عَامَّةً قَالَ أَبو عَبْد ٱللهِ وَبَيَّنَهُ عَلِيٌّ عَنِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ»

«كُنَّا نَغْزُو مع رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، ليسَ لَنَا نِسَاءٌ، فَقُلْنَا: أَلَا نَسْتَخْصِي؟ فَنَهَانَا عن ذلكَ، ثُمَّ رَخَّصَ لَنَا أَنْ نَنْكِحَ المَرْأَةَ بالثَّوْبِ إلى أَجَلٍ» (الراوي: عبدالله بن مسعود، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: ١٤٠٤)

قال النووي في شرحه لهذه الأحاديث: والصواب المختار أن التحريم والإباحة للمتعة كانا مرتين، فكانت المتعة حلالاً قبل غزوة خيبر، ثم حُرِّمت يوم خيبر، ثم أبيحت يوم فتح مكة، ثم حُرِّمت يومئذ بعد ثلاثة أيام تحريمًا مؤبدًا إلى يوم القيامة، واستقر تحريمها.

التعليق

تواترت الروايات من قدماء المسلمين، عن هذا الحادث المرخَّص به من محمد لرجاله في بعض الغزوات، وتشهيره لعامه المسلمين في مؤلفاتهم المنتشرة، وعدم تصدِّى أئمة الإسلام وعلمائهم لتكذيبه ودحضه، بل إن محمد رخَّصهُ وأباحه لرجاله، وأذن لهم به، ثم حرَّمه ثم حلَّله، ثم حرَّمه تحريمًا مطلقًا، والحديث عنه أنه قال: «أَيُّمَا رَجُلٍ وَٱمْرَأَةٍ تَوَافَقَا. الخ» هي أمور لا

مفرّ للعقل من انتقادها

إذا نظرنا في أمر إباحة وترخيص نبي الإسلام لجنده وأصحابه في ظروف وأحوال خاصة، مضاجعة النساء بأجرة متاع ما، أو كما يسميه البعض نكاح بالثوب، لنرى هل ذلك يوافق الحق والآدب.

نحن نعلم أن معاشرة النساء ومضاجعتهن على سبيل الأُجرة هو أمر كثير الشيوع في عالمنا، وهو معروف بالزنى، ويُمارس في «أوكار وبيوت الدعارة» وهو معروف عند كل الأمم بزنى، ومُحرَّم في كتب الوحي، ومُنكر من الجميع، وضار جدًا بالهيئة الاجتماعية والسمعة العائلية والمحلية على السواء، ومعلوم أن اللواتي يبعن أعراضهن بأثمان، إما بمال أو مجوهرات أو بثياب أو غير ذلك من متاع الدنيا. وكافة الزواني في العالم على هذا المجرى. فهل ذلك في عرف المسلمين حلال؟!

وهل أدبائهم وثقاتيرتضون بتفشّي هذه الظاهرة في مجتمعاتهم؟ لا يوجد تقي يخاف الله إلّا وينكر ذلك ويستحرمه. فلماذا أباحه محمد لرجاله؟! ألم يرد في القرآن والسُّنَّة أمر قصاص الزاني والزانية رجمًا وجلدًا بدون التفات إلى الأجرة وعدمها؟

فإن كانت الأُجرة تجعل مضاجعة النساء حلالاً، فلماذا لم يقل والزانية تُرْجَمُ أو تُجْلَدُ أو تُنْفَى إذا أتت ذلك مجانا؟ وإن كان ذلك منها بأجرة متاع لا حرج عليها ولا على من فعل ذلك معها.

فالإسلام إذًا يعتبر إتيان المرأة بدون عقد النكاح أو بدون أن تكون ملك يمينه (سرية) زنى، بأُجرة كان أم بغير أُجرة لا فرق، ويفرض على مرتكبيه القصاص الصارم.

ومَنْ يرى أن بذل المال والمتاع يحلل الحرام؟!

والأمر الغريب هو ما جاء في رواية جرير بعد قوله: ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب ثم قرأ علينا ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ (سورة المائدة ٥ :٨٧). لنقف هنا قليلاً ونتأمل في قراءة نبي الإسلام على قومه هذا النص على أثر ذلك الترخيص.

ألا نرى أن محمدًا أراد بهذه القراءة أن الله أحلَّ لرجاله التمتع بالنساء بالمتاع، بشرط ألَّا يأتي الرجل ذلك على سبيل التعدي (أي الاغتصاب)، فإذا كان هذا هو المراد من النص الذي يزعم أنه كلام الله إليه، فلم عاد فحرَّم ذلك حسب رواية عبد الله ثم أباحه ثم حرَّمه تحريمًا مطلقًا؟

إنه لا يُشتمُّ قط من هذه القراءة رائحة الموَّقِت؛ لأنه لا يُقال فيها «لا تحرموا «الآن» ما أُحلَّ الله إلى يوم أو يومين أو شهر، بل لا تحرِّموا طبيات» كلام مطلق غير مقيد بزمان أو مكان، ولِمَا لَمْ يقف عند حد هذا النهي «لا تحرموا» بل على ذمة الراوي عاد فحرَّمه بعد أن قضى رجاله شهوتهم من هاتيك النساء متجاوزًا ذلك الحد.

فلماذا يحرِّمه المسلمون الآن؟ فإذا كان النص (المائدة ٥: ٨٧) يعلن إباحة محمد لرجاله مضاجعة النساء بأجرة متاع لها؛ فجاز للمسلمين دوام هذا الأمر.

ألا نرى من خلال القول: «يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ» (المائدة ٥:٨٧) إنكار فريق من أصحاب محمد عليه تلك الإباحة والترخيص لهم بما أجمعت كتب الأنبياء على تحريمه؟

فعندما رأى محمد نفسه أنه سقط في أيدي عقلاء أصحابه بإباحته لهم المحرَّم في التوراة والإنجيل والقرآن، وليس لديه حجه يحتج بها على ما كان منه، عمد إلى أُسلوب ما يسميه «الوحي»، وأتى منه بهذه القراءة كحجة الله له على ما أباحه ورخصه، فأسكت أولئك المعارضين.

أهكذا يحلِّل الله الحرام لعباده مجاراة لميولهم الحيوانية؟!

ويظهر لنا من حديث شعبة أن ابن عباس توقَّف عن مجاوبة سائله عن متعة النساء؛ فكأن السائل سأل ابن العباس: «ما قولك في المتعة التي أذِنَ بها محمد لأصحابه يوم فتح خيبر ومكة، وقرأ عليهم وحي الله بخصوصها وهو نص (سورة المائدة ٥:٨٧) أجائزة بعد للمسلمين؟».

لماذا ارتجَّ الجواب على ابن عباس؟ ولاحظ ذلك عبده فجاوب عنه: «إِنَّمَا ذَلِكَ فِي ٱلْحَالِ ٱلشَّدِيدِ وَفِي ٱلنِّسَاءِ قِلَّةٌ» فاستحسن سيده الجواب وصادق عليه بقوله «نَعَمْ».

فيلوح لنا من السؤال والجواب أن نبي الإسلام لم يحرِّم المتعة بالنساء بعد أن رخَّص بها لرجاله، وأعلن كونها حلالاً لهم من الله بما قرأ عليهم كوحي من الله إليه، وإنه متى كان المسلمون في مثل الحال والظروف التي كانوا فيها يومي خيبر ومكة، أي في حالة اشتداد شوقهم إلى النساء والنساء قليلات جاز لهم استعمالها، ولو كان الأمر بخلاف ذلك (أي أن نبي الإسلام حرَّم مضاجعة النساء بالثوب بعد أن رخَّص به)، لأجاب ابن عباس ذلك السائل على الفور إن رسول الله ألقى أمر المتعة بالنساء وحرَّمها بعد أن أباحها يومي خيبر ومكة تحريمًا مطلقًا، ولما أنه لم يجاوب وصادق على كلام عبده تبيَّن أن باب المتعة كان لم يزل مفتوحًا، وإن كره البعض

ذلك.

وعدد كثير من الباحثين المسلمين يؤكِّدون أن محمد مات ولم يحرِّم المتعة، والزعم بأنه حرَّمها بعد إباحتها يومي خيبر ومكة لا يُعار شيئًا من الاعتبار لخلوه من البرهان؛ لأنه لا حديث عن محمد أنه قال يومًا بتحريمها، ولا نص قرآني ناسخ لذلك النص الذي أعلن كونها حلالاً طيبًا للمسلمين، بل إن هناك آية تجعل من نكاح النساء بالمتعة والأجرة بابًا مفتوحًا وواسعًا في الإسلام وهو ما ورد في سورة النساء ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُمْ بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (سورة النساء ٤: ٢٤). وعددٌ كبيرٌ من مؤرخي الإسلام يؤكدون بكل صدق وشجاعة هذه الرواية: «إنه قام سوق الجدال بهذا الموضوع في إمارة عمر بن الخطاب، ولما احتج بعضهم بحضرته أن النبي أجاز نكاح المرأة بالثوب أو المتاع ومات ولم يحرِّمه. أجاب عمر بن الخطاب: «حرَّمه أو لم يحرِّمه، لا أعلم، فأنا أنهي عنه، وأعلوا بسيفي هذا عنق من أتاهُ». ويُقال أنه تجدد هذا الجدال في خلافة المأمون ولم يُفْصَلُ الخلاف على وجه ما قيل إن أهل الشيعة لا يزالون يفعلون ذلك في حال اغترابهم عن أولادهم. هذا ولعل القول: «إن محمدًا حرَّمهُ بتاتًا يوم فتح مكة» ناشئ عن رؤية ثقاة المسلمين وأدبائهم فظاعة الأمر وشر بقاء المسلمين عليه.

أما القول ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ المراد به النهي عن مضاجعة النساء على سبيل الاغتصاب والقهر.

أولاً: ربما المرأة التي أُغْرِيَتْ بالأجرة على تسليم نفسها ذلك لعدة أسباب: (١) فقرها. (٢) انحلالها، قبِلَت بتسليم عرضها وشرفها بتلك الأجرة. ألا يكون مباشرتها بذلك تعديًا على حقوق زوجها، فأين إذا القول:

«وَلَا تَعْتَدُوا»؟

ثانيًا: إن الاعتداء على المرأة متزوجة كانت أم عذراء بمباشرتها عن طريق الاغتصاب، مُنكر طبعًا وشرعًا عند كل الأمم، ومؤكد أن الأمم الجاهلية التي تبيح الفواحش كالرومان واليونان قبل اعتناقهم الديانة المسيحية والهنود والعرب، كانوا يعاقبون بصرامة من اغتصب امرأة، وكثيرًا ما نشأ عن مثل التعدِّي حروبٌ مهلكة، كما يروى في أخبار العرب عن طُسُم وجديس. إذًا محمد بقوله من هذه الحيثية لم يأتِ بجديد.

ولنا من حديث ابن الأكوع أن محمد تدرج في أمر المتعة إلى نوع الموافقة بين الرجل والمرأة، مجردًا عن الإشارة إلى إعطاء متاعًا ما كأجرة لها بقوله على عهدة الراوي: «أَيُّمَا رَجُلٍ وَٱمْرَأَةٍ تَوَافَقَا فَعِشْرَةُ مَا بَيْنَهُمَا ثَلَاثُ لَيَالٍ فَإِنْ أَحَبَّا أَنْ يَتَزَايَدَا أَوْ يَتَتَارَكَا تَتَارَكَا» قال الراوي: «فَمَا أَدْرِي أَشَيْءٌ كَانَ لَنَا خَاصَّةً أَمْ لِلنَّاسِ عَامَّةً؟!».

عزيزي القارئ، ألم ترَ أن نبي الإسلام بهذه الإباحة قد وسَّع من دائرة ارتكاب هذا المحرَّم؟ وهكذا أطلق العنان للنفس الشهوانية الجامحة إلى الآثام لترتكب بضمير مستريح خطية الفجور؟

باعتبار هذه الرواية اقتصر على الموافقة. لماذا؟، لأن الموافقة أعمُّ من المتعة، وأشمل، وأوسع؛ لأنه قد تكون الموافقة المذكورة من عامل الحب والغرام بين الطرفين، بمعزل عن الأجرة، وقد تكون بأُجرة وبغير أُجرة، وربما كانت الأُجرة من المرأة للرجل لا من الرجل للمرأة؛ فبحسب هذا الرأي أمر مضاجعة الرجل لامرأة غير زوجته على سبيل التوافق بينهما.

فمن يا ترى لا يرى نجاسة هذا الأمر المضرّ بالهيئة الاجتماعية،

والمفسد للنظام العائلي المقدَّس! ومعلوم أنه يندر جدًا ارتكاب الزنا بدون اتفاق على ذلك بين الفاعليْن، فهل بهذا الاعتبار لا تعتبر فاحشة؟ وأي أمين يصادق على ذلك؟

أحق هذا الترخيص والرياء من نبي الإسلام، أم باطل؟

فلو هو «حق»، إذًا «لا حرج على من يأتيه اليوم».

وإن كان: «لا يجوز -إن لم يقل باطلاً-»، فكيف إذا أباح نبي الإسلام مالا يجوز، وارتأى مالا يحق؟

وإن قال البعض «أباحه مؤقتًا مراعاة لضرورة الحال ثم حرَّمه».

قلنا: أولاً: قد تبيَّن فيما تقدَّم أنه مات ولم يحرِّمه. ثانيًا: إن محارم الله الأدبية كالزنى وعبادة الأوثان، لا تحلِّلها الظروف والميول، ولم يجيء قط في الكتاب المقدَّس تحليل شيء مثل ذلك لشعب الله في ظرف من الظروف وحال من الأحوال؛ فالحرام كان حرامًا دائمًا، والحلال كان حلالاً دائمًا. فالمكان والزمان والعواطف لا تبيح المحظورات، ولا تحلِّل المحرَّمات.

ثالثًا: إن ذات السبب الذي دعى نبي الإسلام إلى ذلك، قد يكون في كل زمان، ولا سيما في هذا العصر الذي زاد على كل العصور بكثرة الاغتراب ومفارقة الأهل طلبًا للرزق أو للحرب، فعلى جواب عبد بن عباس وتصديق سيده عليه، وبناء على الزعم أن محمدًا أباحه مؤقتًا لضرورة الحال متى وُجِدَ سببًا جازت هذه الإباحة، فهل يعترف مسلموا زماننا بجواز ذلك؟ وهل يرتضون بالسير علية؟

وإذا كانوا لا يعترفون بجوازه ولا يرتضونه لأنفسهم وأخواتهم مهما كانت الدواعي؛ فذلك منهم بالنتيجة اللازمة، وهي عدم الجواز بما رخَّص به

محمد وأباحه لرجاله بداعي فرط اشتياقهم إلى النساء. أفلا يكون ذلك دليلاً على ادعائه النبوَّة والرسالة من عند الله؟

أما القول عن لسان أبي عبد الله بخصوص تلك الموافقة التي ارتآها نبي الإسلام بين الرجل والمرأة «وَبَيَّنَهُ عَلِيٌّ عَنِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ». فهذا القول عاري من الصحة لسببين:

الأول: إنه لا يُشمّ قط من كلام محمد رائحة الموقِّت؛ لأنه لم يعلِّقهُ على أسباب ودواعي، ولأنه كلام معمم لا مخصص بقوله «أيُّما رجل وامرأة» يعنى أي رجل كان وأي امرأة كانت، بصرف النظر عن الظروف والأحوال.

الثاني: لا رواية ولا حديث عن لسان محمد أنه نسخ ذلك، أي لم يرو عنه أنه قال: «إني نسختُ كلامي السالف بخصوص إباحتي نكاح المتعة» أو حتى وحيًا نزل عليه بذلك.

والمرجَّح أن الدعوى بذلك مختلفة منشأها استهجان ذلك الرياء لمنافاته الكتب المقدَّسة، وتَكْدِيرُهُ للنظام العائلي الشريف، ولم يسعهم نكران هذه الرواية؛ دفعتهم الحسرة إلى وضع ذلك القول: «وقال أبو عبدٱلله وَبَيَّنَهُ عَلِيٌّ عَنِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ».

وخلاصة الأمر ينجلي لك مما تقدم أن تصرُّف محمد هكذا ليس بتصرف نبي من الله، بل كتصرف قائد ماهر، جارىَ به ميول قوم دعاهم إلى نصرته وشدة أزره. يرغب منهم الاستماتة في سبيل الأخذ بناصره، والتهالك في بسط يده وإعلاء شأنه.

ملحق لفصل زواج المتعة

يجب علينا أن نتوقف هنا على ما حدث خاصة في غزوة خيْبر، هل هو خليق بنبي إذا شكا إليه رجاله بهياجهم الجنسي أن يبيح لهم مضاجعة نساء القوم المهزومين في الحرب مقابل ثوب على سبيل الأجرة؟

أهذا إتمام العمل؟ أي بعد الإثخان بالرجال ونهب المال والممتلكات هتك الأعراض والاغتصاب؟

ومن يستطيع أن يقول بقبول النساء هذا الأمر عن طيبة خاطر والفاعلون بهنَّ أعدائهنَّ قاتلوا رجالهنَّ ومخربوا ديارهنَّ؟

ومن أين يا تُرى ذلك الثوب والمتاع الذي كان جُند محمد يعطونه للنساء كأجرة أعراضهنَّ؟

أليس هو في الغالب من مالهنَّ الذي اغتنموه ونهبوه!

أمِن مالهنَّ يعطوهنَّ أجرة اغتصابهنَّ هتك أعراضهنَّ؟

هل هكذا يفعل الأنبياء والصالحون؟

وما هو شعور المسلم اليوم إذا فعل الجنود الإسرائيليون ذلك بنساء فلسطين اليوم سنة ٢٠٢٥ والجيش الإسرائيلي هو سيد الموقف في حرب غزة اليوم ونساء غزة مقهورات في حصار لا حول لهن ولا قوة، وجيش حماس يختبئ في أنفاق كالجرذان؟

مع الأسف فمحمد ورجاله لا أخلاق لهم! نحن لم نقرأ في التاريخ عن أي قائد (مثل الإسكندر أو تيطس أو نابليون أو هتلر) فعل هذا (أي استباح أعراض النساء) سوى أمّة محمد المهووسة بالجنس والنجاسة. فالمسلمون مرضى بالجنس والنجاسة إلى أبعد الحدود، لأن هذا العمل تكرر مع الغزو العثماني التركي، بل حدث أفظع منه مع المسلمين أنفسهم في واقعة الحرَّة عندما خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية، فأعدَّ يزيد بن معاوية لمدينة الرسول جيشًا يُناهز عدده العشرة آلاف فارسًا -وقيل اثنا عشر ألف فارسٍ، وأمَّرَ عليهم رجلاً خبيثًا يُسمَّى مسلم بن عقبة المرّي الذي استباح المدينة ثلاثة أيام بعد مجزرة دمويه رهيبة راح ضحيتها ألوف المسلمين، إذ كان أهل مدينة محمد نفسه يؤخذون ويُصفَّدون ويُوثَّقون بالأغلال، ثم يُقتل الواحد تلو الآخر تُضرب أعناقهم بالسيف- الأنكى من ذلك أنه افتُضَّت في تلك المعركة -بعد أنْ أباح مسلم بن عقبة المُرّي المدينة- غشاء بكارة ألفُ عذراء، وولدت ألف امرأة من غير زوج! هذا عن العذارى، فلك عزيزي القارئ أن تتخيل ما حدث مع باقي النساء المتزوجات والأرامل!

وإذا أتينا إلى تاريخ شعب الله القديم بنى إسرائيل، لا نرى في حروبهم الكثيرة والعظيمة ولا سيما في عهد يشوع بن نون قائدهم وفاتح أرض كنعان، وملكهم داود، أنهم شكوا مرَّة إلى أحد قادتهم ما شكاه رجال محمد إليه بشأن النساء. ولا أن أحدًا من قضاة أو ملوك بنى إسرائيل أباح لهم يومًا ما بالتمتع بنساء القوم المهزومين منهم في الحرب! وكل ما يقوله شرع الله لموسى من هذه الحيثية هو ما جاء في (سفر التثنية ٢١: ١٠ -١٣) «إِذَا خَرَجْتَ لِمُحَارَبَةِ أَعْدَائِكَ وَدَفَعَهُمُ ٱلرَّبُّ إِلٰهُكَ إِلَى يَدِكَ، وَسَبَيْتَ مِنْهُمْ سَبْيًا، وَرَأَيْتَ فِي ٱلسَّبْيِ ٱمْرَأَةً جَمِيلَةَ ٱلصُّورَةِ، وَٱلْتَصَقْتَ بِهَا وَٱتَّخَذْتَهَا لَكَ زَوْجَةً، فَحِينَ

تُدْخِلُهَا إِلَى بَيْتِكَ تَحْلِقُ رَأْسَهَا وَتُقَلِّمُ أَظْفَارَهَا وَتَنْزِعُ ثِيَابَ سَبْيِهَا عَنْهَا، وَتَقْعُدُ فِي بَيْتِكَ وَتَبْكِي أَبَاهَا وَأُمَّهَا شَهْرًا مِنَ ٱلزَّمَانِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تَدْخُلُ عَلَيْهَا وَتَتَزَوَّجُ بِهَا، فَتَكُونُ لَكَ زَوْجَةً».

لم يسمح الله له أن يدخل عليها وهى مجروحة القلب حزينة الروح على هلاك زويها في الحرب، بل فرض الله لها شهرًا من الزمان أيام حِداد ثم يتزوجها.

فكيف صحَّ في عيني نبي الإسلام وفي أعين رجاله الدخول هكذا على نساء القوم المقهورين بالحرب دامي القلوب، غرقى في الحزن؟

فيا لشئوم هذا، ويالقداسة شرع الله في كتابه!

ويالللفرق الشاسع بين نص التوراة وبين النص الذي قرأهُ نبي الإسلام على رجاله (سورة المائدة ٥: ٨٧)!

أترى عزيزي القارئ أن محمدًا في مثل هذه الإباحة قد شذَّ شذوا كليًا عن أنبياء الله ومرسليه، وقادة جنده؛ وبالتالي قد نافى به شرعه الذي شرَّعه؟

ألا يلوح لنا من ذلك أنه لم يكن يهم نبي الإسلام شيئا إلَّا مرضاة أصحابه، ومسرّتهم الذين عرف طباعهم وعدم صبرهم طويلاً عن النساء. رأى من الحكمة مجاراتهم في أمر قضاء شهوتهم على سبيل الأجرة أو كما يسميه نكاح بالثوب. فكأن القوم حين نظروا نساء العدو في قبضة يدهم، هوت إليهم نفوسهم. ولم يروا أن يمسوهن إلَّا بإذن من نبيهم، فشكوا إليه هيجان الشهوة الجنسية فسارع في الحال لهم في هواهم، وأجابهم إلى منيتهم. إنما بالثوب كمهر أو أُجرة لهن.

(٨) موانع دخول الجنة ووسائل دخولها

أ- موانع دخول الجنة

جاء في «صحيح مسلم» «كتاب الإيمان» «١٣٣ وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبَانَ بْنِ تَغْلِبَ عَنْ فُضَيْلٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِاللهِ عَنِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ».

جاء في كتاب «إحياء علوم الدين» للإمام الغزالي، الجزء الثالث صفحة ١٢٧، ٢٥٣، ٣٤٢: «قال رسول الله لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبَّة خردل من الكبر. ولا يدخل الجنّة بخيل، ولا جبان، ولا سيء الملكة». وفي رواية أخرى ولا منّان».

جاء في «صحيح البخاري» «كتاب الطب» «٥٣٣٣ حَدَّثَنَا عَبْدُٱللهِ بْنُ عَبْدِٱلْوَهَّابِ حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ ٱلْحَارِثِ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ سُلَيْمَانَ قَالَ سَمِعْتُ ذَكْوَانَ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهم عَنْهم عَنِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا». (النسائي، جنائز ١٩٣٩، مسند أحمد، باقي مسند المكثرين ٩٩٤٤، الدارمي، المقدمة ٣٧٥).

جاء في «القرآن»: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا

﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (سورة ٱلنساء ٤: ٩٣)

ب- وسائل دخول الجنة

جاء في «التدمذي» كتاب «الطب»، «١٩٦٧ حَدَّثَنَا مَحْمُودُ بْنُ غَيْلَانَ حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ عَنْ شُعْبَةَ عَنِ ٱلأَعْمَشِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِسُمٍّ فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلاَءِ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ وَأَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ ٱلأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَ حَدِيثِ شُعْبَةَ عَنِ ٱلأَعْمَشِ قَالَ أَبو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ وَهُوَ أَصَحُّ مِنَ ٱلْحَدِيثِ ٱلأَوَّلِ هَكَذَا رَوَى غَيْرُ وَاحِدٍ هَذَا ٱلْحَدِيثَ عَنِ ٱلأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَوَى مُحَمَّدُ ٱبْنُ عَجْلاَنَ عَنْ سَعِيدٍ ٱلْمَقْبُرِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِسُمٍّ عُذِّبَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَهَكَذَا رَوَاهُ أَبُو ٱلزِّنَادِ عَنِ ٱلأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهَذَا أَصَحُّ لأَنَّ ٱلرِّوَايَاتِ إِنَّمَا تَجِيءُ بِأَنَّ أَهْلَ ٱلتَّوْحِيدِ يُعَذَّبُونَ فِي ٱلنَّارِ ثُمَّ يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَمْ يُذْكَرْ أَنَّهُمْ يُخَلَّدُونَ فِيهَا».

جاء أيضًا في «صحيح البخاري» كتاب «اللباس» «٥٣٧٩ حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ حَدَّثَنَا عَبْدُٱلْوَارِثِ عَنِ ٱلْحُسَيْنِ عَنْ عَبْدِٱللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ يَحْيَى ٱبْنِ يَعْمَرَ حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَا ٱلأَسْوَدِ ٱلدُّؤَلِيَّ حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَا ذَرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنهم حَدَّثَهُ قَالَ

أَتَيْتُ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ وَهُوَ نَائِمٌ ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدِ ٱسْتَيْقَظَ فَقَالَ «مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللهُ ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ ٱلْجَنَّةَ». قُلْتُ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ»؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ». قُلْتُ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ»؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ». قُلْتُ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ»؟ قَالَ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ».

جاء في كتاب «إحياء علوم الدين» للإمام الغزالي، الجزاء الثالث، صفحة ١٨٢: «قال رسول ٱلله: «ثلاث من جاء بهنَّ عن إيمان دخل من أبواب الجنّة حيث شاء، وزُوِّج من الحور العين حيث شاء: من أدَّى دينًا خفيًا، وقرأ في دُبر كل صلاة «قل هو الله أحد» عشر مرات، وعفا عن قاتله. قال أبو بكر: «أو إحداهنَّ يا رسول الله». قال: «أو إحداهن».

جاء في «صحيح البخاري»، كتاب الجنائز «١١٧١ حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ ٱلْوَارِثِ حَدَّثَنَا عَبْدُ ٱلْعَزِيزِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهم قَالَ قَالَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا مِنَ ٱلنَّاسِ مِنْ مُسْلِمٍ يُتَوَفَّى لَهُ ثَلَاثٌ لَمْ يَبْلُغُوا ٱلْحِنْثَ إِلَّا أَدْخَلَهُ ٱللهُ ٱلْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ».

جاء في «صحيح البخاري»، كتاب الجنائز «١١٧٢ حَدَّثَنَا مُسْلِمٌ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ حَدَّثَنَا عَبْدُ ٱلرَّحْمَنِ بْنُ ٱلْأَصْبَهَانِيِّ عَنْ ذَكْوَانَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهم أَنَّ ٱلنِّسَاءَ قُلْنَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱجْعَلْ لَنَا يَوْمًا فَوَعَظَهُنَّ وَقَالَ أَيُّمَا ٱمْرَأَةٍ مَاتَ لَهَا ثَلَاثَةٌ مِنَ ٱلْوَلَدِ كَانُوا حِجَابًا مِنَ ٱلنَّارِ قَالَتِ ٱمْرَأَةٌ وَٱثْنَانِ قَالَ وَٱثْنَانِ وَقَالَ شَرِيكٌ عَنِ ٱبْنِ ٱلْأَصْبَهَانِيِّ حَدَّثَنِي أَبُو صَالِحٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهممَا عَنِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ لَمْ يَبْلُغُوا ٱلْحِنْثَ».

جاء أيضًا في «صحيح البخاري» كتاب «الحج» «١٦٥ حَدَّثَنَا عَبْدُاللهِ بْنُ يُوسُفَ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنْ سُمَيٍّ مَوْلَى أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِالرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ السَّمَّانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهم عَنْهم أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ».

يقول «القرآن» في (سورة البقرة ٢: ١٥٨) ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾.

جاء في «صحيح البخاري» كتاب «الزكاة» «١٣٩ حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِاللهِ بْنِ مَوْهَبٍ عَنْ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللهُ عَنْهم أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ قَالَ مَا لَهُ مَا لَهُ وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَبٌ مَا لَهُ تَعْبُدُ اللهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ وَتَصِلُ الرَّحِمَ وَقَالَ بَهْزٌ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ وَأَبُوهُ عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِاللهِ أَنَّهُمَا سَمِعَا مُوسَى بْنَ طَلْحَةَ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذَا قَالَ أبوه بن عَبْد اللهِ أَخْشَى أَنْ يَكُونَ مُحَمَّدٌ غَيْرَ مَحْفُوظٍ إِنَّمَا هُوَ عَمْرٌو»

جاء في كتاب «الأنوار المحمَّديَّة» صفحة ٣١٦ ما يلي: «عن أنس بن مالك قال: «قال رسول الله يوقف عبدان بين يدي الله تعالى فيؤمر بهما إلى الجنة. فيقولان: «ربنا بم استأهلتنا الجنة ولم نعمل عملاً تجازينا به الجنة؟». فيقول الله تعالى: «ادخلا الجنة فإني آليت على نفسي ألّا يدخل النار من اسمهُ أحمد ولا محمد». ورُوِيَ عن نعيم بن شريط قال: «قال

الرسول: قال الله تعالى: وعزَّتي وجلالي لا أعذِّب أحدًا تسمَّى باسمك في النار».

التعليق

من أغرب ما سُمِع وكُتِب هو الخلاف والتناقض بين هذين القولين، بحيث يصُعب التسليم بكونهما كلام شخص واحد عاقل، بل إنسان يدَّعي أنه نبي. فلنا في هذا الفصل خمسة تعليقات تدعونا إلى التأمل وتدقيق النظر.

(١) لا جنَّة لأحد!

كيف حرَّمت الأقوال الأولى الجنّة على كل إنسان، من كان في قلبه مثقال ذرَّة من الكِبر، وعلى كل بخيل، وجبان، وخائن، ومنَّان، وفاحش، وسيء الملكة، ومنتحر، وقاتل مؤمنًا عمدًا، وغاشٍ لرعيته؛ مغلقة بذلك أبواب الجنّة بوجه كل إنسان بالغ الحلم؛ لأن لا إنسان خالٍ من كل هذه الشوائب ولا سيما الكِبر الذي كثيرًا ما يدبُّ إلى قلوب الأفاضل، فكم بالأحرى غير المؤمنين! فمن إذًا يدخل الجنّة؟ الإجابة: «لا أحد!».

(٢) فشل جميع محاولات التوفيق بين النقيضين.

وما القول لا يدخل الجنة مَنْ كان كذا وكذا، وحرَّم الله الجنة على مَن كان كذا وكذا، إلَّا بيان خلود أمثال هؤلأ في جهنم؛ لأن لا يدخل عمر الجنة أو حُرِّم عليه أن يدخلها، تفيد منعه من دخولها أبديًا. وما عدم وجود عمر

أو زيد في الجنة إلَّا وجوده في جهنم؛ لأنه لم يُذكر في الإسلام سوى مكانين للثواب والعقاب وهما الجنة وجهنم.

والخلاصة أن أمثال المُشار إليهم خالدون في جهنم بمقتضى ذلك البيان. إذا كان كل الناس هكذا خطاؤن مجرمون إلى الله، فهم تحت حكم دينونته العادلة، أو حسب الأقوال السابقة هم أولاد جهنم. فأين المفرّ من هذا الحكم؟ أروني إيَّاهُ إنْ استطعتم!! ولكن انظر إلى الأقوال التالية لها وتعَّجب! كيف هي ألقت الأقوال الأولى في خبر كان، كأن قائل هذه غير قائل تلك، وكأنهما ضدَّان ندَّان، أو عدوّان ألدَّان.

عزيزي القارئ، كيف لا يدخل الجنّة من فيه خصلة من تلك الخصال، أو أتى معصية من تلك المعاصي، وكيف لا يُخلَّد في النار من مات على التوحيد ولو عمل من المعاصي ما عمل!! ومن مات على قول أثره لا إله إلَّا الله دخل الجنة، وإن كان زانيًا وسارقًا. ومن أتى الثلاث المذكورة عن إيمان دخل الجنة من أي باب شاء، وزُوِّج من حورها حيث شاء، ومن له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحلم، ومن حجَّ حجّاً مبرورًا، ومن كان اسمه أحمد أو محمد؟!

هل تستطيع عزيزي القارئ أن تجمع بين هذين النقيضين وتؤلِّف بين هذين الضدَّين؟!

ما الذي دعى محمَّد إلى نقض قوله نقضًا مشينًا طاعنًا في دعواه النبوَّة والرسالة من عند الله؟! هل رأى بقوله الأول «لا يدخل الجنة من كان... الخ» قد خلع قلوب أصحابه وألقاهم في وهدة اليأس والقنوط من رحمة الله؛ لأن كلاًّ منهم رأى نفسهُ غير خالٍ من بعض تلك الخصال

والذنوب. وبل كان لسان حالهم: «إذا كان الإسلام هكذا يُلقينا في اليأس من رحمة الله، ويعدمنا الرجاء بالجنة والسعادة في الآخرة، فما لنا وإيَّاهُ، وما نفع الوضوء والصلاة والحج والزكاة إذا كانت ذرة من الكِبر في قلب المسلم مانعة له من دخول الجنة!! أليست الجاهلية إذًا خير من الإسلام؟ وأين قول هذا الرجل «محمد» لنا مرارًا كما على لسان الله: إن الله أعدَّ للمؤمنين به وبرسوله جنَّاتٍ تجرى من تحتها الأنهار فيها من كل الفاكهة، زوجات وأزواج، وها أنه يصرِّح لنا بأنهُ لا يدخلها من كان في قلبه أثر لكبر، ومن كان كذا، وكذا الخ» ومن منا خالٍ من هذه المذكورات؟ فما هذه الحالة التي صرنا إليها بتصديق هذا الرجل؟ أهو يلعب بنا أم لا يدري ماذا يقول؟ أم يلتقط هذه الأفكار من مصادر مختلفة ويقرأها علينا؟».

فتدارك محمد الأمر ورجع عما قال فاتحًا بأقواله الجديدة أبواب الجنة لكل مسلم، بلسانه ولو عمل من المعاصي ما عمل، مهما تكن خصاله وأعماله وجرائمه، غير مبالٍ بما أوقع نفسهُ من التناقض المشين، ولا حاسب لأولى الانتقاء حسابًا. كأن همَّهُ الوحيد مداواة الجرح الذي جرحهُ وترقيع الثوب الذي خرقهُ ليس إلَّا.

والغريب في هذا الأمر أنهُ لم يُذكر أن أحدًا من أصحابه عارضهُ أو سألهُ عن كيفية التوفيق بين النقيضين والوئام بين القولين! على الرغم ما كان بينهم من الرجال من هم على جانب كبير من الذكاء كأبي بكر، وعمر. ولا شك أن مثل هؤلاء النبلاء رأوا ذلك التناقض المشين غير الجدير بالنبي ولا بأي شخص آخر، غير أنَّهُ إنما مراعاة للمصلحة العامة، وتحاشي انتباه أفكار عامة المسلمين إلى هذا الأمر الذي لا تحُمد عواقبهُ صمتوا.

فهل هذا القول من محمد قول حق يقبلهُ العقل ويستريح إليه؟

(٣) لزوم التفرقة بين الفضيلة والواجب

وقوله: «ثلاث من جاء بهن عن إيمان دخل أبواب الجنّة حيث شاء، وزُوِّج من الحور العين حيث شاء، (أ)- من أدَّى دنيًا خفيًا، (ب)- قرأ «قل هو الله أحد» عشر مرات في دبر كل صلاة، (ج)- عفى عن قاتله، أو جاء بإحداهن، (جواب تساهل لأبي بكر كما رأيت فيما سلف).

عزيزي القارئ، هل وفاء دين الدائن فضيلة أم حق وواجب؟!

فإن كان حقًا واجبًا، ظاهرًا كان أم خفيًا، فلا أجر عليه للوافي؛ لأنه ليس هو إحسانًا أو صدقة حتى يُؤجر عليه، بل هو حق عليه للغير أدَّاه لأربابه. وكلٌّ منا يعلم أن تأدية الحقوق لذويها ليست من الفضل في شيء، وإن عدم تأديتها جور وظلم. فلماذا يُثاب المرء، ولاسيما ثواب عظيم كهذا؟ على ما لا فضل له به؛ حتى أنه ليغضي بسبب ذلك عن كل ما اقترفهُ من الذنوب وأتاهُ من المعاصي. أفليس أن زعمًا كهذا منافٍ لقداسة الله وعدله، وخاصة حديث أبى زر على إتيان المعاصي؟!

أما قراءة «قل هو الله أحد» عشر مرات في دبر كل صلاة. فهو أسهل على الإنسان من وفاء دين عليه. ولو إن ذلك في إمكانه، إذ لا يكلَّفهُ سوى تمتمة تستغرق بضع ثوان. فأشرّ الناس يستطيع القيام به، ويذهب هكذا ناعم البال قرير العينين برجاء دخول الجنة، والتزوّج بمن شاء من حورها الحسان بناء على نطق نبيه المبين. وبناء عليه لا حاجة له أن يكون عفيفاً، قنوعًا، متواضعًا، خيِّراً ولا بريء الذمة من دين الدائن، بل كل ما عليه ليدخل الجنّة وينعم بغانيتها وأطعمتها الفاخرة، وقصورها الأنيقة أن يقول في دبر كل صلاة :«قل هو الله أحد» عشر مرات؛ لأن القائل هذا القول

قد علَّق مثل هذا الثواب على إتيان الثلاث المذكورات أو إحداهن، وهذه إحداهن. فأين هذا من قول السيد المسيح: «كَذَلِكَ أَنْتُمْ أَيْضًا، مَتَى فَعَلْتُمْ كُلَّ مَا أُمِرْتُمْ بِهِ فَقُولُوا: إِنَّنَا عَبِيدٌ بَطَّالُونَ. لأَنَّنَا إِنَّمَا عَمِلْنَا مَا كَانَ يَجِبُ عَلَيْنَا»؟ (لوقا ١٧: ١٠)

تناقض الأحاديث مع القرآن

شيء عظيم! الزاني والسارق والقاتل والظالم والغاشم يستطيع بسهوله أن يأتي هذا الأمر، فيدخل الجنة غير مسئول عما ارتكب وفعل، فأين إذاً العدل؟! وأين ذلك من القول: ﴿وسيعلم الظالمون أي منقلب ينقلبون﴾، والقول: ﴿يوم ليجزى الله كلّ نفس ما كسبت، إن الله سريع الحساب﴾. فقل لي عزيزي المسلم، هل هذه الأقوال حقة أم باطلة؟! فإن كانت حقة، فتلك الأحاديث لا شك باطلة، وقائلها أيّاً كان مبطل، وإن كانت هذه الآيات السابقة باطلة فليس في الإسلام شيء حق.

عقيدة تفسح المجال لارتكاب المعاصي!!

عزيزي القارئ، ألا ترى أن مثل هذه الأقوال المنسوبة إلى محمد هي من أكبر المفسحات لارتكاب المنكرات والسقوط في المعاصي؟! وما أدراك إن معظم أشرار المسلمين والمجرمين متسلِّحون بمثل هذه الأحاديث وما شاكلها، فأمسوا لا يفعل فيهم وعظ ولا إنذار، ولا يفرقون بين الحلال والحرام. وهم لا يبالون إلَّا بنيل مطالبهم ومآربهم وقضاء شهواتهم. أما القول:«وعفا عن قاتله». كأنه يريد بالمقتول أن يعفي عن قاتله قبل موته، وفي طالة يده الانتقام منه، فلا شك أن مثل هذا العفو هو من أكبر الفضائل، ومع ذلك لا يدخل صاحبه الجنة إن كان عاصيًا أو أثيمًا غير

تائب إلى ربّه؛ لأن التوبة الحقيقية بالاتكال على الله حسب القرآن؛ وهي من الشروط التي لا بدّ منها للقبول من الله والفوز برضاه.

(٤) برّ الأبناء لا يجدي الآباء شيئًا

والقول :«ما من مسلم يتوفى الله، أو مسلمة» على نحو ما مرَّ بك، فهل من عاقل مدرك لا يرى أن إدخال الأشرار الجنة ببرِّ صغارهم هو أمر منافٍ لعدالة الله، وكذلك للقران القائل: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ. يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ. إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (سورة الشعراء ٢٦: ٨٧-٨٩) وكذلك هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ (سورة لقمان ٣١: ٣٣) وهذا القول أيضا ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ (سورة سبأ ٣٤: ٣٧). «اَلنَّفْسُ ٱلَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ. اَلِابْنُ لَا يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ ٱلْأَبِ وَٱلْأَبُ لَا يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ ٱلِابْنِ. بِرُّ ٱلْبَارِّ عَلَيْهِ يَكُونُ وَشَرُّ ٱلشِّرِّيرِ عَلَيْهِ يَكُونُ» (حزقيال ٢: ١٨).

عزيزي القارئ، لا تظلم عقلك بل انصفه، انظر أي من الفئتين من الأقوال باطل وأيها حقّ، وماذا يعمل قائل تلك الأقاويل بنصوص القرآن؟ أيتبعها بالمنسوخ حتى يُقال لقد نسخ القرآن بالسُّنَّة، وأنّي لمحمد أن يتنصَّل من هذه الأقوال وهو يزعم أنها كلام الله ووحيه إليه. أليس بهذا الحديث، يقول للمسلم المتوفى له ثلاثة من الولد دون البلوغ: «اذهب يا عزيزي نم ملء عينيك كُتِبتْ لك الجنَّة بموت صغارك فأسرع وامرح كيفما شئت بلا خوف ولا احتساب». والعياذ بالله من تفسيح كهذا.

(٥) التسمّي باسم أحمد أو محمَّد ينجّي من عذاب جهنّم!!.

قول محمد إن الله قال: «إني آليت على نفسي أن لا يدخل النار من اسمه أحمد أو محمد، وقال وعزتي و جلالي لا أُعذِّب أحدًا تسمَّى باسمك في النار». من لا يتعجب وتأخذه الحيرة من جسارة الإنسان على قول مثل هذا عن فم الله العادل القدوس! وعامة المسلمين يقولون إن الأحاديث السالف ذكرها هي قول محمد نفسه كنبي من أنبياء الله، أما هذا القول هو حديث من فم الله رأسًا. فهل يا ترى من مسلم عاقل يعتبر مثل هذا الحديث بل لا يقشعر بدنه عند سماعه أو قراءته؛ إني لا أرى لهذا الحديث شيئًا من الاعتبار والتصديق وإلَّا لكان اسم الواحد منهم أحمد أو محمد.

إن كان التسمّي بأحمد ومحمد ينجي من عذاب النار ومن عقاب الله عزّ وجلّ، ويدخل ذلك المسمَّى الجنة، مهما كانت سيرته وسريرته حسب مآل الحديث، فلماذا إذًا يسمِّي المسلمون عمر، وزيد، وخالد وعباس، وبكر، وعثمان، وعليّ الخ دعوا عنكم هذه الأسماء التي لا تضمن للنفس الجنة، وسمّوا أنفسكم وكافة بينكم أحمد ومحمد فتضمون لكم ولأنفسكم ولأولادكم الجنة، ولا تكونون بعد مفتقرين إلى إتعاب زواتكم وإنهاك أجسادكم بالفرائض والمراسيم الدينية، كالصلاة والصوم والحج والزكاة، ولا إلى كثرة الاستغفار، ولا إلى قول: «قل هو الله أحد» عشر مرات دبر كل صلاة، ولا إلى كل ما سبق ولا إلى شفاعة الشافعين، ألم يقسم الله تعالى حسب الحديث بعزته وجلاله؟ فإن صدَّقتم هذا الحديث فأنتم إذًا في غنى عن إتعاب أنفسكم بتلك الأمور، وكل ما يلزمك يا مسلم لدخول الجنة هو أن يكون اسمك أحمد أو محمد.

الجنةَّ ليست مكان للقداسة!!

هل يجدر بالعاقل أن يعتبر مثل هذه الأمور المدرجة في هذا الباب وعلى الخصوص هذه المسألة الممهدة سبيل المعاصي لمصدّقيها، شيئًا من التصديق والاعتبار؟! كلا!

الاسم لا يجعل القبيح حسنًا، والرديء جيدًا. إني أعرف رجالاً يدعون أحمد ومحمد وهم من أشرِّ الناس ظلمًا وفحشًا، فهل ذلك منهم لأنهم على عِلْم بمثل هذا الحديث ومعتبروه حقًا لا جدال فيه، فإن كان أمثال هؤلاء وهم يموتون بمعاصيهم وآثامهم يدخلون الجنة، بداعي أن أسمائهم أحمد ومحمد؛ فالجنة إذًا مكان للأشرار، فلا يليق بالأبرار الصالحين المؤمنين أن يكونوا فيها، ولا يوافقهم أن يكونوا فيها.

وفي الختام أقول: إذا كان لمحمد نبي الإسلام كل هذه المكانة عند الله -كما يدّعى- حتى أن الله أقسم بعزته وجلاله ألَّا يُعذِّب من تسمَّى باسمة، فلماذا إذًا كان محمد يخاف من عذاب القبر؟! حتى كان يستعيذ بالله منه ويكثرا استغفاره، فإذ كان الله تعالى لا يعذِّب في النار مَن تسمَّى باسمة؛ فبأولى لا يعذِّبه هو بل يولِّيه المقام الأسنى في جناته، فأي داع إذا لخوفه من الموت والنار وعذاب القبر؟

الإجابة الحتمية لهذا السؤال هو إن محمدًا ادَّعى كل هذه الروايات، وغير مصدِّق لها؛ وهذا يتضح لنا من قول عائشة: «٣٤١٨ حَدَّثَنَا هَارُونُ حَدَّثَنَا عَبْدَةُ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ ٱلزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ عِنْدَ وَفَاتِهِ ٱللَّهُمَّ ٱغْفِرْ لِي وَٱرْحَمْنِي وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ ٱلْأَعْلَى قَالَ أَبو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ

صَحِيحٌ».

أفلا يدل خوفه على بطلان تلك الأحاديث السابقة؛ لأنها لو كانت لها شبه صحة، لما كان لمثل هذا الخوف والرهبة محل في نفس محمد، بل كان له سلام كامل أبدًا ودائمًا ومنتهى السرور والاطمئنان، وبما أنه لا تناسب بين الأمرين دلَّ الخوف والرهبة والاستغفار على بطلان الأحاديث والسلام؛ لأنه لا قيام لأحداهما بدون سقوط الآخر.

نسخة كاملة هدية

(٩) قول عائشة لمحمد:

«إِنَّ ٱللَّهَ يُسْرِعُ لَكَ فِي هَوَاكَ».

جاء في «صحيح مسلم» كتاب «الرضاع» «٢٦٥٨ حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ ٱلْعَلَاءِ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كُنْتُ أَغَارُ عَلَى ٱللَّاتِي وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ لِرَسُولِ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -الهبة زواج بدون صداق، أي أن المرأة تقبل أن تتزوج الرسول بدون صداق- وَأَقُولُ وَتَهَبُ ٱلْمَرْأَةُ نَفْسَهَا فَلَمَّا أَنْزَلَ ٱللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ «تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ» قَالَ قُلْتُ وَٱللَّهِ مَا أَرَى رَبَّكَ إِلَّا يُسَارِعُ لَكَ فِي هَوَاكَ».

وفي «صحيح «مسلم» كتاب «الرضاع» «٢٦٥٩ وحَدَّثَنَاه أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَبْدَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ أَمَا تَسْتَحْيِي ٱمْرَأَةٌ تَهَبُ نَفْسَهَا لِرَجُلٍ حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ «تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ» فَقُلْتُ إِنَّ رَبَّكَ لَيُسَارِعُ لَكَ فِي هَوَاكَ».

ورد في (سورة الأحزاب ٣٣: ٥٠) ﴿يَا أَيُّـهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ ٱللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكِ ٱللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ

دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

أخرج بن سعد عن منير بن عبد ٱلله الدؤلى، أن أم شريك الدوسية عرضت نفسها على النبي، وكانت جميلة فقبلها. فقالت عائشة: «ما في ٱمرأة حين تهب نفسها لرجل خيرٌ»، قالت أم شريك: «فأنا تلك». فسمَّاها محمد مؤمنة. فقال: «وٱمرأة مؤمنة الخ»، فلما قال محمد هذا قالت عائشة: «إن ٱلله يسرع لك في هواك».

جاء في «سنن ٱبن ماجة» كتاب «النكاح» «١٩٩١ حَدَّثَنَا أَبُو بِشْرٍ بَكْرُ بْنُ خَلَفٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَا حَدَّثَنَا مَرْحُومُ بْنُ عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ حَدَّثَنَا ثَابِتٌ قَالَ كُنَّا جُلُوسًا مَعَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وَعِنْدَهُ ٱبْنَةٌ لَهُ فَقَالَ أَنَسٌ جَاءَتِ ٱمْرَأَةٌ إِلَى ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَرَضَتْ نَفْسَهَا عَلَيْهِ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ ٱللَّهِ هَلْ لَكَ فِيَّ حَاجَةٌ فَقَالَتِ ٱبْنَتُهُ مَا أَقَلَّ حَيَاءَهَا قَالَ هِيَ خَيْرٌ مِنْكِ رَغِبَتْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَرَضَتْ نَفْسَهَا عَلَيْهِ».

التعليق

من تفسير «الفخر الرازي» (لسورة الأحزاب ٣٣: ٥٠ و٥١) «إن من ينظر في الأحاديث السابقة لا يرى النص ﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾ (الأحزاب ٣٣: ٥١) كان لقمع غيرة عائشة على اللواتي وهبن أنفسهن لرجلها. ودفعًا لاعتراضها حتى تقول على أثره: «وَٱللَّهِ مَا أَرَى رَبَّكَ إِلَّا يُسَارِعُ لَكَ فِي هَوَاكَ». بل الذي يُرى هو

أن النص بهذا الخصوص وهو ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (سورة الأحزاب ٣٣: ٥٠). فلما سمعت عائشة من فم زوجها هذا النص، قد اعتبرتهُ وحي الله إليه قالت بتعجُّب: «إن الله يسرع لك في هواك!!». لأن كلمة تُرجى من تشاء منهن إلى آخره،كانت على نبي الإسلام بخصوص معاشرته لنسائه والاضطجاع معهن. وخلاصته إنه لا يجب على النبي أن يُقسِّم بين نسائه بالعدل من هذه الحيثية، بل حقَّ له تأخير من شاء منهن، وإيواء من شاء منهن إليه. وذلك لتسكيت تذمُّر نسائه عليه؛ لكونه لا يعدل بينهن في هذا الأمر»

وحيٌ أم هوى؟!

لاشك في أن عائشة كانت أذكى زوجات محمد، وأوفرهن دالة وجراءة. كثيرًا ما وقفت له بالمرصاد وحجَّتهُ، لولا تخلُّصهُ منها بالوحي، أو الدعوى كما رأيت بسِّبه ولعنه للمسلمين. فحين سمعت من فمه ما سمعت كوحي الله إليه بخصوص الواهبات أنفسهن لهُ، كانت قد لاحظت وقوع مثل ذلك كثيرًا فيما سبق، وهو نزول عدة آيات وفقًا لهواهُ وميوله، وذلك بعد أن يهوى الشيء ويرغبهُ، ولم يسعها إلَّا أن قالت بلهجة التعجُّب والسخرية مقولتها الشهيرة: «وَٱللهِ مَا أَرَى رَبَّكَ إِلَّا يُسَارِعُ لَكَ فِي هَوَاكَ» لاعتقادها أن الأقوال وحيٌ من الله إليهِ، وإنها رأت الآتي:

• حين تمنّى أن يكون حرم مكة قِبلةً للمسلمين، وحجَّهم عوضًا عن بيت المقدس في أورشليم، الذي كان قد اقتبلهُ هو وأصحابه في صلواتهم

وسجودهم زمنًا طويلاً، كان الوحي إليه وفق هواه: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة ٢: ١٤٤)

• كذلك حين رأى زينب الجميلة امرأة زيد بن الحارثة، وعشقها بقلبه حتى قال على مسمع منها: «سبحان الله مقلِّب القلوب». أيضًا كان الوحي إليه وفق هواه؟ ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولاً﴾ (الأحزاب ٣٣: ٣٧).

• كذلك تحريم محمد زوجتهُ مارية القبطية عليه إرضاء لامرأته حفصة بنت عمر؛ لأنه كان قد اضطجع مع مارية في بيت حفصة وهي غائبة، وإذ شقَّ ذلك كثيرًا عليها، فقال لها: «قد حرَّمت عليَّ مارية، وأنه ما عاد يقربها، بشرط أن تكتم عليه»؛ ولما لم تبقَ حفصة على عهد الكتمان، وأطلعت عائشة على ما كان، طلَّقها قصاصًا لها. ثم ندم على ما كان منه من تحريم مارية، وطلاق حفصة؛ وتمنّى مسوِّغًا لتحليل ذلك المحرَّم، وإرجاع تلك الطالق. فكان الوحي وفقًا لهواه ومبتغاه: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة التحريم ٦٦: ١).

• وإذ رأت أيضًا ما لم يخطر لها ببال، وهو أن هذه المرأة من هنا، وتلك من هناك ممن رغب فيهن زوجها، يهبن أنفسهن له كزوجات؛ أنكرت ذلك قائله: «لا خير في امرأة تهب نفسها لرجل»، كان نص (الأحزاب ٣٣:

٥٠) قمعًا لإنكارها ذلك. فلم يسعها إلّا أن أقسمت وقالت إن الله يجيبك سريعًا إلى ما تهوى وتبتغي نفسك الأمّارة بالسوء، وكأنها بذلك تقول له:

هويت تحويل القبله من بيت المقدس إلى مكة، فأسرع الله لك في هواك! وهويت امرأة زيد ورغبت فيها، فأسرع الله لك بالوحي أنه زوّجك إيّاها. رغبت مارية التي حرّمتها عليك، واسترجاع حفصة المطلّقة منك. فعّجل ربُّك بتحليل ما حرّمت، واسترجاع ما طلقت. وددت غزو المشركين والكفّار الأمر الذي قد نهاك عنهُ القرآن بآيات بيّنات، مثل «لا إكراه في الدين»، «أفأنت تُكره الناس حتى يكونوا مؤمنين»، «وما أرسلناك إلّا مبشرًا ونذيرًا»، «وعليك البلاغ وعلينا الحساب». إلى غير ذلك مما قرأته على الناس. فأسرع الله لك في هواك. ورغبت في نزول آيات القتال ناسخًا تلك الآيات السلمية ﴿قَاتِلُوا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا ٱلْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾. وهنا أيضًا أسرع الله في هواك في إباحة هبة المرأة لك نفسها.

إن هذه المقولة لا تحلُّ محل القبول لما فيها من لائحة الدلالة على اختلاق القرآن. لأنها تشفُّ على أن القرآن أو كثيرًا منه كان على ما يهوى محمد ويرغب من الأهواء النفسية والجسدية. وطبعًا إن سرعة إيجاب محمد إلى ما يهوى ويرغب (كما في النصوص المتقدم ذكرها) يلقي الشُّبهة عليه أنه من عند الله الذي ليس عنده تغيير ولا ظلّ دوران.

هل جاء مثل ذلك عن نبي من أنبياء الله؟! لقد درست سير أنبياء الله القديسين، ولم أجد أن أحدهم أتى مثل ما أتى نبي الإسلام. وأغرب ما جاء في هذا الصدد القول: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَى بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ

﴿وَأُولُو ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا﴾ (الأحزاب ٣٣: ٦). ومن تفسير «الفخر الرازي»: «إن هذه الآية تقرير لصحة ما صدر عن الرسول من تزوجه بزينب امرأة زيد بن حارثة». وكأن هذا جواب عن سؤال قائل: «هب أن الأدعياء ليسوا بأبناء كما قلت، ولكن إذا كان لدعيِّه شيء حسن، لا يليق بمرؤته أن يأخذه منه، لأن هذا يطعن فيه شرعًا. فقال الله تعالى هذه الآية (الأحزاب ٣٣: ٦) جوابًا عن ذلك السؤال. ثم يستطرد في القول: «إن ذلك كان دفعًا لحاجة نفس النبي، والنفس تُقدَّم على الغير لتفرغها للعبادة».

وخلاصة ذلك الشرح عزيزي القاريء أن محمدًا أولى بامرأة زيد منه؛ لأنها وقعت في قلبه موقع الحب واحتاجته نفسه، ونفس النبي مقدَّمة على نفوس الآخرين من المؤمنين، فوجب أن زيدًا يتنازل عنها بالطلاق، لتتفرَّغ نفس محمد إلى عبادة الله. وكأن حبّ محمد لامرأة زيد صار شغلهُ الشاغل عن عبادة الله، فوجب أن يُزال ذلك الشاغل بتزوجه إيَّاها، لتفرغ نفسه إلى عبادة الله؟!

أيعجبك ذلك عزيزي القاريء؟!

أيوافق ذلك جانب الحق والعدل؟!

أيخلق بالنبي أن ينشغل عن عبادة الله بعامل الغرام واللذات الدنيوية؟!

فإن كان محمد كنبي الله يشغله حب امرأة زيد عن عبادة الله، فماذا تكون حالة عامة أصحابه إذا ابتلوا بعامل الغرام بنساء غيرهم؟!

أهذا يا تُرى سبب إباحته لزواج المتعة؟!

وماذا تكون حاله الزوج الذي نُزِعت منه زوجته المحبوبة بنص شرعي؛ لتكون زوجة لنبيه؟

ألا يكون فصلها عنه كفصل الروح عن الجسد، وألا يكون ذلك له شاغل عظيم ينسيه كثيرًا من واجباته لربِه؟

ومَنْ لا يرى جور وظلم هذا التأويل وسخافته الذي لم يكن إلَّا محاولة لستر هذا الأمر المعيب؟

وعلى افتراض إذا كان زواج محمد بامرأة زيد كان لتتفرغ نفسه إلى العبادة، فوجب على هذا المبدأ أن يتزوج بِامرأة أي كان من أصحابه إذا وقعت في قلبه موقع الحب والغرام، وليس لأحد من أُمَّتِه أن يعترض على ذلك كما يقول أيضًا في ذلك الشرح: «فتبين أن النبي إذا أراد شيئًا، حُرِّم على الأُمَّةِ التعرُّض إليهِ».

فهل ذلك يوافق الأُمَّة؟!

وأين جاء مثل ذلك عن نبي من أنبياء الله في الكتاب المقدَّس!؟

فقد جاء في القرآن: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ (الأحزاب ٣٣: ٥٢). ومن تفسير «الفخر الرازي» لهذه الآية «ظاهر أن هذا ناسخ لما كان قد ثبت للرسول من أنّهُ إذا رأى واحدة، فوقعت في قلبه موقعًا كانت تحرَّم على زوجها، ويجب عليه طلاقها؛ ليتزوجها الرسول. وهذه المسألة حكيمة، وهو أن النبي وسائر الأنبياء في أول النبوَّة تشتد عليهم رحى الوحي، ثم يستأنسون به فينزل عليهم وهم يتحدثون مع

أصحابهم لا يمنعهم من ذلك مانع، ففي أول الأمر أحلَّ الله له من وقع في قلبه من النساء تفريغًا لقلبهِ، وتوسيعًا لصدره لئلا يكون مشغول القلب بغير الله، ثم لما استأنس بالوحي وبمن على لسانه الوحي نسخ ذلك إمّا لقوته للجمع بين الأمرين، وإمّا أنه بدوام الإنزال لم يبقَ له مألوف من أمور الدنيا فلم يبقَ له التفات إلى غير الله، فلم يبق له حاجة إلى إحلال التزّوج بمن وقع بصره عليها. وقالت عائشة: «ما مات النبي إلَّا وأحلَّ له النساء»، وعلى هذا الناسخ قوله: «يا أيها النبي إنَّا أحللنا لك أزوجك» إلى أن قال: «وبنات عمك وامرأة مؤمنة» على قول من يقول لا يجوز نسخ الكتاب بغير الواحد، إذ الناسخ غير متواتر إن كان خبرًا»

فنقول بناء عليه: «ما كان على الزوج المسكين من المسلمين إذا علم أن النبي يحب زوجته إلَّا أن يطلّقها في الحال؛ ليتزوج بها النبي كما حدث مع زيد. وأي شيء أمرّ على الفتى الهائم بحب زوجته الحسناء من مفارقتها بالطلاق الجبري لكي يتزوجها آخر؟ فلابد أن هذا الأمر الشاذ المألوف ثقل للغاية القصوى على قلوب معظم أصحابه وأتباعه، ولاسيما أزواج الفتيات الجميلات، واحتاروا كيف يتصرفون، ربما أخفى كل منهم زوجته عن نظر النبي الهائم بالنساء؛ حذرًا من وقوعها في قلبه موقع الحب فتُحرَّم عليه شرعًا، ويضطر إلى طلاقها رغم أنفه وقلبه وعاطفته. وكذلك كل غادة حسناء محبة لزوجها كانت تلتزم حذرها أثناء ذهاب النبي نحوهم محاذرة أن يهواها. فيدعوها في الحال إلى تجرّعها كأس فراق زوجها المحبوب. ويظهر لنا من النص (الأحزاب ٣٣: ٥٢) تفاقم الأمر وصيرورته إلى الارتباك المزعج، كأن الأمر أو النص وضع حدًا لذلك الأمر المقلق، بحيث لا يعود يدعو إلى فصل المرأة عن زوجها وضمّها إلى جيش زوجات محمد.

فلنا مما تقدَّم ثلاثة تعليقات

(١) اَلْكِتَابُ اَلْمُقَدَّسُ أَمْ اَلْقُرْآنُ؟!

إن محمدًا شذَّ بهذا الأمر شذوذًا كليًا عن أنبياء الله ورسله، لأنه لا يوجد نبي من أنبياء الله نهج مثل هذا النهج، ولم يجيء قط في الكتاب المقدس عن أحدهم أنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ولا تحريم امرأة صاحبة لتكون له من دونه، والله نهى عن ذلك بما كتبه على لوحيِّ الوصايا العشر التي أعطاها لبني إسرائيل بيد كليمه موسى «لَا تَشْتَهِ بَيْتَ قَرِيبِكَ. لَا تَشْتَهِ اَمْرَأَةَ قَرِيبِكَ وَلَا عَبْدَهُ وَلَا أَمَتَهُ وَلَا ثَوْرَهُ وَلَا حِمَارَهُ وَلَا شَيْئًا مِمَّا لِقَرِيبِكَ» (خروج ٢٠: ١٧). ولماذا يُحرِم العبد -ولاسيما وهو مؤمن- من امرأته الحسناء ليتزوجها نبي قد اشتهاها في قلبه، أليس ذلك ظلمًا لا يفوقه ظلمٌ؟! وهل الله بظالمٍ حتى يفعل هذا؟ حاشا! هل يحق بالأنبياء أن يضمّوا إليهم حسَّان نساء أصحابهم؛ ليتنعّموا بهن أنفسهم من دون أزواجهن؟ يُقال إنهم صالحون ويعلمون الصلاح، فهل مثل هذا العمل من أعمال الصلاح؟ لا، إنه لا يصلح في عيون أهل التقوى؛ فكم بالأحرى لا يصلح في عيون الأنبياء والله القدوس. ولتنظر قليلاً إلى سمو شريعة المسيح له المجد وكمال عقيدته بشأن هذا لموضوع: «وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى اَمْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ.» (متَّى ٥: ٢٨) وقول الرسول بولس: «وَلٰكِنْ لِسَبَبِ اَلزِّنَا، لِيَكُنْ لِكُلِّ وَاحِدٍ اَمْرَأَتُهُ، وَلْيَكُنْ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ رَجُلُهَا» (١كورنثوس ٧: ٢).

والخلاصة إن الله سبحانه لم يبح مثل ذلك لأحد من أنبيائه، ولا أحد قبل محمد ادَّعى حق ذلك أو أتاه كأمر حلال. وإذا هوى بعضهم أمرًا

لا يوافق إرادة الله وناموسه، كان الله يبكّته عليه ويردعه عنه بواسطة نبي آخر.

ومن أغرب ما جاء في التوراة أن النبي داود هوى بقلبه أن يبني البيت لاسم الرب وقيام العبادة فيه حسب المرسوم؛ ليكون ذلك أعظم وأجمل وأفخر ما بُني في الأرض. وقد هيَّأ له أدوات البناء والزينة شيئًا كثيرًا من الذهب والفضة والنحاس والحجارة الكريمة، هوى أمرًا جليلاً وودَّ أن يختم حياته بمثل هذا العمل الصالح لله؛ ومع ذلك لم يحبه الله إلى ما ودَّ وهوى، بل منعه من ذلك على لسان النبي ناثان قائلا: «اَذْهَبْ وَقُلْ لِدَاوُدَ عَبْدِي: هٰكَذَا قَالَ اَلرَّبُّ: أَنْتَ لَا تَبْنِي لِي بَيْتًا لِلسُّكْنَى» (١أخبار ١٧: ٤) والقصة معلومة

عزيزي القاريء، إن كان الله لم يجب عبده داود إلى ما هوى وودَّ أن يعمله، وهو عملاً صالحًا فكم بالأحرى لا يُجب الأعمال التي تنافي قداسته ووصاياه، نعم كثيرًا ما استجاب الله وسارع في الاستجابة لصلوات أنبيائه الصالحين وخائفي اسمه، إمَّا لأجل إنقاذهم من البغاة الظالمين، أو للإفراج عن شعبه المتضايق، كما استجاب لصلاة عبده يعقوب أثناء رجوعه من عند خاله لابان إذ صلَّى وتضرَّع أن ينجّه الله من يد أخيه عيسو؛ فحوَّل عداوة عيسو وقصده إلى سلام وحب. (تكوين ٣٣). وصلاه النبي صموئيل من أجل إسرائيل فنصرهم الله على الفلسطينيين على الرغم من أعدادهم الكثيرة (١صموئيل٧ : ٨-١١)، وصلاة آسا ملك يهوذا عندما غزاه زارح الكوشي بجيش كبير ألف ألف محارب وثلاث مائة مركبة حربية، فكسر الرب الكوشيين أمام شعبه، ولم يبق لهم حيّ (٢أخبار ١٤: ٩-١٥)، وصلاة حزقيا ملك يهوذا المحاصر في أورشليم بجيوش سنحاريب ملك آشور، فأرسل

الرب ملاكه، وأهلك في الليلة التالية لتلك الصلاة كل أبطال وجبابرة ذلك الجيش ١٨٥ ألفًا فهرب، سنحاريب في الصباح إلى أرضه بالذل والخزلان. (٢ملوك ١٩: ٣٥،٣٦)، وصلاة دانيال وأصحابه في بابل (دانيال ٢: ١٦-١٨) وصلاة رُسُلِ السيد المسيح (أعمال ٤: ٢٤-٣١)، ومثل ذلك كثير في الكتاب المقدس ممالا يسعنا الإشارة إليه، ولكن لم نرَ في الكتاب المقدس أن أحدًا هوى امرأة بني شعبه فوافقه الله وسارع له في هواه. أو أن النبي موسى أويشوع أوصموئيل أولى بالمؤمنين من أنفسهم!!

(٢) النساء في دنيا محمد

شذوذ محمد عن الأنبياء في أمر الإكثار من الزوجات والشغف الزائد بالنساء، الأمر الذي دفعه إلى التطاول على زوجات المسلمين بوجه شرعي كما يدّعى.

والخلاصة إن محمدًا لم يماثل أنبياء الله الصالحين في الزهد وانصراف القلب عن ملذات الدنيا وشهواتها. فإن الزهد في الدنيا والاقتصار على زوجة واحدة كان من خصائص كثيرين من أنبياء الله ورسله، كموسى، وصموئيل، وإشيعاء، وحزقيال، وبعضهم لا يُعرف من الكتاب المقدس أمتزوجون أم لا كدانيال، وإرميا. لأن التاريخ المقدس لا يشير إلى ذلك، لأن غايته وغاية الوحي ليست هي إعلان ما يختص بالأنبياء من حيث الأمور العالمية وميولهم الجسدية، وما فيهم من القوة الجنسية، بل هي فيما يختص بواجباتهم النبوية وإرساليتهم من ربهم للإنذار والتبشير، وبعضهم لم يتخذوا لهم زوجات كيوحنا المعمدان وأليشع وإيليا وذلك تفرُّغًا منهم للقيام بما كُلِّفوا به، وناهيك عن كلمة الله وروحه آية العفاف والطهارة

والقداسة الذي لم يعبأ بالدنيا ولذاتها؛ فعاش صارفًا همَّه باذلا قصارى جهده في عمل الخير والإحسان، غير طالب ما لنفسه بل ما للخير وسعادة والآخرين.

فيا للفرق الشاسع بينه وبين محمد الذي كان مشغوفا دائمًا بحب النساء وعشقهن حتى قال يومًا لأصحابه: «حبب الله إليَّ في دنياكم ثلاث: الطيب، والنساء، وقرة عيني الصلاة». فأنا لا أرى الأخيرة إلَّا موضوعة من الآخرين، لأنك لا ترى لها محلا مع الاثنين الذين قبلهما؛ لأن محمد قال حبب الله إليَّ من دنياكم، والمراد بذلك من أشياء الدنيا ولكن الصلاة ليست من أشياء الدنيا، ولا مقارنة لها مع الطيب والنساء، وكل مفكّر عاقل يرى أنها وُضِعت بدل شيء كان مكانها. فبحثت عن هذا الأمر وتحققّت حتى رأيت النص الصحيح: «أن عائشة زوجة محمد قالت: كان يعجب نبي الإسلام من ثلاث: الطيب، والنساء، والطعام». أليس هذا الحديث أصحّ من السابق.

(٣) مأزق من معادلة صعبة

عدم موافقة حال الأمة الإسلامية اليوم أمر نبيهم، لأننا إذا سألنا اليوم مفكِّري الإسلام أو سألوا هم أنفسهم: «لو قام بيننا اليوم نبي كمحمد و أراد الجري على الخطة التي جرى عليها محمد في أمر النساء، وهي أن كل امرأة اشتهاها حُرِّمت على زوجها، وأُحلّت له، حتى يُرْغَم على طلاقها، أنقبل ذلك ونصادق عليه؟» أيقبل الرجل أن يتنازل عن زوجته للنبي لأنه رآها واشتهاها، وإذا قَبِلَ أيكون ذلك عن طيب خاطر منه؟ هل يرى ذلك من الحق واللياقة والشرف؟ بل هو امتهانًا للنظام العائلي المقدس وظُلْمَاً

لا يحتمل. وإذا قيل لا يوافق حال الأمة؛ لذلك نهاه الله من البقاء عليه (الأحزاب ٣٣: ٥٢)، قلنا: «إذا كان محمد مُنِع من الاستمرار على هذا بداعي عدم موافقته وصلاحيته للأُمَّة، فكيف وافقها قبل ذلك المنع؟! وكيف كان له حقًا وواجبًا؟! وهل الحق والواجب يبطل أن يكون حقًا وواجبًا؟! وإذا كان حلالاً للنبي من قبل فلماذا لا يكون له حلالاً من بعد؟!، وإذا كان حرامًا عليه من بعد فكيف كان حلالاً له من قبل؟! أيحلل الله الحرام ويوجب غير الواجب مجاراة لأهواء الإنسان الجسدية، ثم ينتبه إلى ذلك الخطاء ويتداركه؟!

نسخة كاملة هدية

(١٠) سِحْر اليهودي لمحمَّد

جاء في كتاب «السيرة النبوية الملكية» لزيني دحلان صفحة ٢ ما يلي: «إن لبيدًا بن الأعصم اليهودي سحر النبي، وكان يُخيَّل له أنه يفعل الشيء وهو لا يفعله، مما لا تعلُّق له بالوحي، كالأكل والشرب وغير ذلك من لوازم البشرية. ومكث في ذلك سنة أو ستة أشهر على ما قيل، حتى جاءهُ جبريل، وأخبره عن ذلك السحر ومكانه، فأرسل محمد واستحضره وحلَّ عقده ففك عنه السحر ثم رقاه جبريل».

جاء في كتاب «العقد الفريد» لابن عبد ربه، الجزء الثالث صفحة ٣٧ ما يلي: «وفي مسند بن أبي شيبة، أن رجلاً من اليهود سحر النبي، فاشتكى لذلك أيام، فأتاه جبريل فقال له: إن رجلاً من اليهود سحرك. عقد لك عقدًا وجعلها في مكان كذا، فأرسل فاستخرجها وجاءه بها؛ فجعل يحلُّها، فكلما حلَّ عقدة وجد رسول الله خفة، ثم قام رسول الله كأنما نشط من عقال».

جاء في «صحيح البخاري» كتاب «بدء الخلق» «٣٢٨ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى أَخْبَرَنَا عِيسَى عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ سُحِرَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ ٱللَّيْثُ كَتَبَ إِلَيَّ هِشَامٌ أَنَّهُ سَمِعَهُ وَوَعَاهُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ سُحِرَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ حَتَّى كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ دَعَا وَدَعَا ثُمَّ قَالَ أَشَعَرْتِ أَنَّ ٱللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا فِيهِ شِفَائِي أَتَانِي رَجُلَانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا

عِنْدَ رَأْسِي وَٱلآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلآخَرِ: مَا وَجَعُ ٱلرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ. قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ ٱبْنُ ٱلأَعْصَمِ. قَالَ: فِيمَا ذَا؟ قَالَ: فِي مُشُطٍ وَمُشَاقَةٍ وَجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ. قَالَ: فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ. فَخَرَجَ إِلَيْهَا ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ رَجَعَ. فَقَالَ لِعَائِشَةَ حِينَ رَجَعَ نَخْلُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ ٱلشَّيَاطِينِ فَقُلْتُ ٱسْتَخْرَجْتَهُ فَقَالَ لَا أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي ٱللهُ وَخَشِيتُ أَنْ يُثِيرَ ذَلِكَ عَلَى ٱلنَّاسِ شَرًّا ثُمَّ دُفِنَتِ ٱلْبِئْرُ».

التعليق

جواز السحر على الأنبياء يرفع الثقة والأمان بما يقولونه.

من أغرب ما يكون اعتقاد المسلمين بسحر نبيهم من لبيد اليهودي، لما في هذا الاعتقاد من انحطاط شأن محمد والإسلام. ولنا هنا سؤال للمسلمين: أيجوز السحر على أنبياء الله؟! فإن أجابوا: «يجوز»، قلنا: «لماذا لم يجز إذًا على أحد من أنبياء الله السالفين كموسى، ويشوع وصموئيل وغيرهم من أنبياء الله ورسله، حتى يذهب برشدهم فيهيمون على غير هوى، حتى ليخال لهم أنهم يفعلون الشيء وهم لا يفعلونه، كما قيل في أمر محمد. وإن كان للشيطان سبيل إليهم ألا ترتفع الثقة بما يقولونه ويدَّعونه؟!»

وإن قالوا: «لا يجوز»، قلنا: كيف إذًا جاز على محمد وهو أفضل نبي وأعظم رسول - كما يدَّعون- ألا ترون أن المسألة بكل وجوهها ماسة دعوى محمد بالنبوَّة والرسالة من عند الله؟!

ومن لا يتعجَّب من مؤرِّخي الإسلام، كيف رأوا أن يدوِّنوا في كتبهم ما حدث لنبيهم كحادث هكذا لا ريب فيه؟! هل لأنهم لم يستطيعوا إخفاء ما عرض له من الأعراض السابق ذكرها المشينة، نسبوا ذلك إلى سِحْر ساحر طرأ عليه فأحدث تلك الأوهام والتخيلات الباطلة، شأنهم في ذلك شأن الهمج والرعاع، الذين كثيرًا ما ينسبون الأمراض الرديئة التي تصيبهم إلى سحر ساحر. أَمَا كان أفضل لهم لو اعتبروا ذلك مرضًا جسديًا من أن ينسبوه إلى السحر؟!

ضياع رشد محمد !!

ثم نتأمل في القول: «حَتَّى كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ». إذا كان مرادهم بكلمة «مما لا تعلُّق له بالوحي» إنه مدة استيلاء السحر عليه التي كانت كما يقولون سنة أو ستة أشهر لم يوحَ إليه ولا فاه بكلمة بدعوى أنها منزَّلة من عند الله، فهو نوع ما مقبول، أما إذا كان مرادهم بها أن الوحي لم ينقطع عنه في هذه المدة، وإن ذلك الوهم والتخيُّل منه كان في كل شئ تقريبًا ما عدا الوحي، فإن ذلك مردودًا؛ لأنه ما من عاقل يرى تجريد وضياع رشد محمد عما يذهب إليه، وهو على تلك الحالة من الوهم والتخيُّل في محله؛ لأنه إذا كان الشيطان قدر أن يفعل بذهنه هكذا بواسطة سحر ساحر، بحيث أمسى يُخال له ما ليس بصحيحٍ صحيحًا، فلماذا لا يخال له أنه يوحي إليه؟ وإن استطاع الشيطان أن يفعل مثل ذلك بأذهان الأنبياء تكون لا محالة غايته في ذلك تعطيل نبوءتهم، وإحباط مسعاهم؛ لأنه لا يهمه أمرهم من حيث الأكل والشرب وغير ذلك مما يختص بالجسد، إنما يهمه الطعن في دعواهم كأنبياء ومرسلين. ومعلوم لنا أن الإنسان مهما كان فاضلاً في حال تعطيل قواه الذهنية لا يحسن ضبط كلامه والثبات على

أقواله، لأنه في الغالب لا يعي ما يقول، ولا يثق بصحة ما قيل له أنه قال.

موسى أم محمد ؟!

ومما يحسن الالتفات إليه هنا، هو أنه ليس فقط لم يجيء في الكتاب المقدَّس أي إشارة إلى وقوع السحر على أحد من أنبياء الله ولا في القرآن ولا في السُّنَّة أقل إلماع إلى ذلك، بل بالعكس أن موسى كليم الله ورسوله إلى فرعون تحدَّى سحراء مصر إذ بعد أن أعجزهم عن معارضته، أوقع عليهم عشر ضربات حتى لم يستطيعوا الوقوف أمامه؛ ولم يسعهم إلَّا أن قالوا لفرعون: «وَفَعَلَ كَذٰلِكَ ٱلْعَرَّافُونَ بِسِحْرِهِمْ لِيُخْرِجُوا ٱلْبَعُوضَ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا. وَكَانَ ٱلْبَعُوضُ عَلَى ٱلنَّاسِ وَعَلَى ٱلْبَهَائِمِ. فَقَالَ ٱلْعَرَّافُونَ لِفِرْعَوْنَ: «هٰذَا إِصْبَعُ ٱللهِ». وَلٰكِنِ ٱشْتَدَّ قَلْبُ فِرْعَوْنَ فَلَمْ يَسْمَعْ لَهُمَا، كَمَا تَكَلَّمَ ٱلرَّبُّ» «فَأَخَذَا رَمَادَ ٱلأَتُونِ وَوَقَفَا أَمَامَ فِرْعَوْنَ، وَذَرَّاهُ مُوسَى نَحْوَ ٱلسَّمَاءِ، فَصَارَ دَمَامِلَ بُثُورٍ طَالِعَةً فِي ٱلنَّاسِ وَفِي ٱلْبَهَائِمِ. وَلَمْ يَسْتَطِعِ ٱلْعَرَّافُونَ أَنْ يَقِفُوا أَمَامَ مُوسَى مِنْ أَجْلِ ٱلدَّمَامِلِ، لأَنَّ ٱلدَّمَامِلَ كَانَتْ فِي ٱلْعَرَّافِينَ وَفِي كُلِّ ٱلْمِصْرِيِّينَ» (خروج ٨: ١٨، ١٩ و٩: ١٠، ١١)

يسوع أم محمد ؟!

ويسوع المسيح كلمة الله، قد قهر الشياطين بإخراجه إيَّاهم عنوة من المجانين، آمرًا إيَّاهم ألَّا يدخلوهم بعد!

فما أعظم الفرق بين المسحور على يد يهودي وهذيْن قاهرين السحرة والشياطين! حقا إني أحتار فيما أقوله حرصًا على مشاعر المسلمين من أن تُخدَش، فلا أرى لي أنسب والحالة هذه من تحويل المسألة إليهم وسؤالي

لهم الحكم فيها:

ماذا ترون؟

إذا كان محمد كما تقولون نبي الله الأعظم ورسوله الأكرم، أيجوز أن يُصاب بسحر شيطاني كهذا دون أنبياء الله كافة؟!

علمت أن موسى أعجز سحرة مصر، وعيسى أرهب الشياطين، و نبي الإسلام كِيدَ من الشيطان بسحره سحرًا هائلاً ومعيبًا جدًا، ليس يوم ولا شهر بل سنة.

أفلا ترى ذلك انحطاطًا كليًا له عن مصاف الأنبياء والأولياء؟

هل يصح عندك إذا كان محمد رسول الله تعالى يتركه كل هذه المدة تحت سطوة السحر الشيطاني متعذِّبًا ومشوَّش الذهن إلى درجة لا يدري بها ما يقول وما يفعل. ماذا ترى؟

وعلام يدل هذا؟

كيف تحكم بنفسك في هذا الأمر؟

هل لا يحدثك العقل بكون ذلك سبيلاً للشك بنبوَّة ورسالة محمد من عند الله؟

ولأنه عقلاً غير جائز السحر على أنبياء الله ورسله القديسين؛ لأنه يلزم بالضرورة أن يكونوا دائما في غاية الصحة وسلامة الذهن؛ ليتمكنوا في كل وقت من حق القيام بمهام إرسالياتهم من الله؛ ولكي لا يكون ما يدعو إلى الطعن في دعواهم بالنبوَّة والرسالة من عند الله، ألا ترى أنه ينتج من ذلك بالضرورة أن من يؤخذ بسحر ساحر، ليس هو من مصاف أنبياء الله

ورسله؟

اعتراض والردّ عليه

جاء في كتاب «الأنوار المحمدية» ليوسف النبهاني صفحة ٣١٨: «لا يجوز على محمد الجنون والإغماء الطويل الزمن». فيلحظ من ذلك أنه اعترى محمد حينًا ما خاله القوم جنونًا، فقالوا المشركون من قريش: ﴿وما محمد بن عبد الله إلَّا مجنونٌ﴾ فردَّ عليهم القرآن بالنصين الآتيين: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ (سورة الطور ٢٩). ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ (سورة التكور ٨٢: ٢٢).

إنك ترى أن الجنون والسحر المتناول في هذه القضية هما شيئان متشابهان؛ لأن كليهما تعطيل للذهن وتشويش الحياة. فأعراض أحدهما كأعراض الآخر؛ وبناء عليه، لا يُلام الملا من قريش إن حسبوا ذلك من محمد جنونًا

أما الإغماء فمؤلف «الأنوار المحمدية» لا ينفيه عن محمد، فقط عنهُ الإغماء الطويل الزمن؛ لأنه مؤكد أنه كان يعتري نبي الإسلام الإغماء بعض الأحيان، وهو مرض يصيب كثيرين من الناس. غير أنه إن كان يجوز الإغماء على محمد يجوز أن تطول مدته في بعض النوبات.

والذي يُعقل أنهم حين رأوا الإغماء ينتاب محمدًا، استدركوا ذلك بنفيهم عنهُ الإغماء الطويل الزمن. ما دعاهم يا تُرى إلى هذا الاستدراك ليس إلَّا لفكرهم أن طول مدة الإغماء عليه يطعن فيه كنبي أو يقدح نوعًا ما في نبوَّته.

عزيزي القاريء، إذا كان على قولهم لا يجوز على محمد كنبي الله الإغماء الطويل لكونه نبي، فكيف إذا جاز عليه السحر الطويل الزمن حوالي سنة أو ستة أشهر وكما تقولون إن السحر أشرُّ من الإغماء؟ لأن محمدًا لم يكن يدرى ما يفعل، ثم أنه يندر أن تكون مدة الإغماء أطول من نصف ساعة أو ساعة بالكثير، فإن الإغماء نحو ساعة يقدح في نبوته، فماذا تقول في السحر الذي تقلَّب فيه محمد نحو سنة؟!

والخلاصة:

أيُلام المرء مسلمًا كان أم غير مسلم إن انتقد هذه القضية التي تؤكدون حدوثها لنبيكم والمدوّنة في كتاب تاريخ حياته؟!

أنتم تعلمون أن الانتقاد من لزوم العقل، ولابد منه للعاقل المتدبر في كل قضية ورأي ومسألة، إن لم يكن بالقلم ففي الذهن والقلب.

نسخة كاملة هدية

(١١) تأثير السمِّ في محمد

جاء في «صحيح البخاري» كتاب «المغازي» «بَاب مَرَضِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ وَقَوْلِ ٱللهِ تَعَالَى ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾، وَقَالَ يُونُسُ عَنِ ٱلزُّهْرِيِّ قَالَ عُرْوَةُ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا كَانَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ ٱلَّذِي مَاتَ فِيهِ: يَا عَائِشَةُ مَا أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ ٱلطَّعَامِ ٱلَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ فَهَذَا أَوَانُ وَجَدْتُ ٱنقِطَاعَ أَبْـهَرِي مِنْ ذَلِكَ ٱلسُّمِّ».

جاء في «سنن الدارمي» كتاب «المقدمة» «٦٧ أَخْبَرَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ٱللَّيْثِيُّ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ ٱلْهَدِيَّةَ وَلَا يَقْبَلُ ٱلصَّدَقَةَ فَأَهْدَتْ لَهُ ٱمْرَأَةٌ مِنْ يَـهُودِ خَيْبَرَ شَاةً مَصْلِيَّةً فَتَنَاوَلَ مِنْهَا وَتَنَاوَلَ مِنْهَا بِشْرُ بْنُ ٱلْبَرَاءِ ثُمَّ رَفَعَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ ثُمَّ قَالَ إِنَّ هَذِهِ تُخْبِرُنِي أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ فَمَاتَ بِشْرُ بْنُ ٱلْبَرَاءِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا حَمَلَكِ عَلَى مَا صَنَعْتِ فَقَالَتْ إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ شَيْءٌ وَإِنْ كُنْتَ مَلِكًا أَرَحْتُ ٱلنَّاسَ مِنْكَ. فَقَالَ فِي مَرَضِهِ مَا زِلْتُ مِنَ ٱلْأَكْلَةِ ٱلَّتِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ فَهَذَا أَوَانُ ٱنقِطَاعِ أَبْـهَرِي».

جاء في كتاب «العقد الفريد» الجزء الثالث ص ٣٦٩ ما يلي: «في مسند بن أبي شيبة، أن يهود خيبر أهدوا إلى رسول الله شاةً مسمومةً، فقال رسول الله: اجمعوا إليَّ من هنا من اليهود، فجمعوا له، فقال لهم: هل جعلتهم في هذا سمًّا؟ فقالوا: نعم. فقال محمد: وما حملكم على ذلك؟

فقالوا: أردنا إن كنتَ كاذبًا أن نستريح منك، وإن كنتَ نبيًا لن يضرك السمُّ. فقال محمد: وما زالت أكلة خيبر تعتادني فهذا أوان قطعت فيه أبهري».

جاء في كتاب «السيرة النبوية الملكية» لزيني دحلان صفحة ٥٨ و٥٩ «وقيل في هذه الغزوة سمَّت اليهودية الشاة لمحمد، واسمها زينب بنت الحارث امرأة سلَّام بن مشكم، فمضغ محمد منها مضغة ثم لفظها من فيهِ، وإن رجلاً يُدعى بشير بن البراء أكل منها معهُ فمات بعد حول من تلك الأكلة. وفي المرض الذي توفى فيه محمد قال: مازلت أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، وهذا أوان انقطاع أبهري من ذلك السم».

وجاء في كتاب «الأنوار المحمدية» صفحة ٩٨ و٩٩ «وفي هذه الغزوة سمَّت اليهودية زينب بنت الحارث شاة مشوية ثم أهدتها إلى محمد، فأكل وأكل رهط من أصحابه معه، فقال رسول الله: ارفعوا أيديكم، وأرسل إلى اليهودية فقال لها: أسممت هذا الشاة؟ فقالت اليهودية: من أخبرك؟ فقال: أخبرتني هذا الذي في يدي -الذراع- فقالت: نعم. فقال لها: وما حملك على ذلك؟ قالت: قلت إن كنتَ نبيًا لن يضرك السم، وإن لم تكن نبيًا استرحنا منك. فعفا عنها رسول الله ولم يعاقبها، وماتوا أصحابه الذين أكلوا معه ومنهم بشير بن البراء، فدفع رسول الله اليهودية إلى أوليائه به قصاصًا واحتجم على كاهله».

وجاء أيضًا في «الأنوار المحمدية» ص ٥٨ «وقد كان ابن المسعود وغيره يرون أنه مات شهيدًا من السم».

التعليق

أليشع أم محمد؟!

إن في مسألة تأثير السم بهذا الشكل في جسم محمد، نقطه لا يسمح العقل بتجاوزها، وما هي إلَّا انحطاط محمد في عيون أولي الانتقاد عن مقام أنبياء الله، الذي لم يأت لأحد منهم قط شئ من قبيل ذلك؛ لأنه لم يجيء في الكتاب المقدَّس أقل إشارة أن نبي من أنبياء الله سُمَّ، بل أن بعضهم أبطل فعل السم في الطعام المسموم بإلقائه قليل من الدقيق في قدر الطعام. كما ورد في سفر (٢ملوك ٤: ٣٨-٤١) «وَرَجَعَ أَلِيشَعُ إِلَى ٱلْجِلْجَالِ. وَكَانَ جُوعٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَكَانَ بَنُو ٱلْأَنْبِيَاءِ جُلُوسًا أَمَامَهُ. فَقَالَ لِغُلَامِهِ: «ضَعِ ٱلْقِدْرَ ٱلْكَبِيرَةَ، وَٱسْلُقْ سَلِيقَةً لِبَنِي ٱلْأَنْبِيَاءِ». وَخَرَجَ وَاحِدٌ إِلَى ٱلْحَقْلِ لِيَلْتَقِطَ بُقُولًا، فَوَجَدَ يَقْطِينًا بَرِّيًّا، فَٱلْتَقَطَ مِنْهُ قُثَّاءً بَرِّيًّا مِلْءَ ثَوْبِهِ، وَأَتَى وَقَطَّعَهُ فِي قِدْرِ ٱلسَّلِيقَةِ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا. وَصَبُّوا لِلْقَوْمِ لِيَأْكُلُوا. وَفِيمَا هُمْ يَأْكُلُونَ مِنَ ٱلسَّلِيقَةِ صَرَخُوا وَقَالُوا: «فِي ٱلْقِدْرِ مَوْتٌ يَا رَجُلَ ٱللهِ!». وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَأْكُلُوا. فَقَالَ: «هَاتُوا دَقِيقًا». فَأَلْقَاهُ فِي ٱلْقِدْرِ وَقَالَ: «صُبَّ لِلْقَوْمِ فَيَأْكُلُوا». فَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ رَدِيءٌ فِي ٱلْقِدْرِ».

بولس أم محمد؟!

وبعضهم نشبت الأفعى في يده ولم يتضرر بشيء، القصة وردت في (أعمال الرسل ٢٨: ٣-٦) «فَجَمَعَ بُولُسُ كَثِيرًا مِنَ ٱلْقُضْبَانِ وَوَضَعَهَا عَلَى ٱلنَّارِ، فَخَرَجَتْ مِنَ ٱلْحَرَارَةِ أَفْعَى وَنَشِبَتْ فِي يَدِهِ. فَلَمَّا رَأَى ٱلْبَرَابِرَةُ ٱلْوَحْشَ مُعَلَّقًا بِيَدِهِ، قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «لَا بُدَّ أَنَّ هٰذَا ٱلْإِنْسَانَ قَاتِلٌ، لَمْ يَدَعْهُ ٱلْعَدْلُ يَحْيَا

وَلَوْ نَجَا مِنَ ٱلْبَحْرِ». فَنَفَضَ هُوَ ٱلْوَحْشَ إِلَى ٱلنَّارِ وَلَمْ يَتَضَرَّرْ بِشَيْءٍ رَدِيٍّ وَأَمَّا هُمْ فَكَانُوا يَنْتَظِرُونَ أَنَّهُ عَتِيدٌ أَنْ يَنْتَفِخَ أَوْ يَسْقُطَ بَغْتَةً مَيْتًا. فَإِذِ ٱنْتَظَرُوا كَثِيرًا وَرَأَوْا أَنَّهُ لَمْ يَعْرِضْ لَهُ شَيْءٌ مُضِرٌّ، تَغَيَّرُوا وَقَالُوا: «هُوَ إِلٰهٌ!».

أما نبي الإسلام فهو حسب القصة المذكورة سابقًا قد شعر حالاً بالطعام المسموم، ولم يبطل مفعول السم كما فعل أليشع. ولا شفاء أصحابه الآكلين معه من أثر ذلك السم، بل ماتوا من فعله. وهو ضُرَّ من ذلك وتألم ولم يزل متألمًا منه حتى مماته. كما أنه قد تألم من لدغة عقرب حتى لجاء إلى مداواة إصبعه الملدوغ وتعويذه وإليك النص بالتفصيل «وفي مسند أبي شبية، أن النبي وهو يصلي ذات ليلة، إذ وضع يده على الأرض فلدغته عقرب، فتناول نعله وقتلها، فلما انصرف قال: «لعن الله العقرب ما تدع نبيًا ولا غيره». ثم دعا بماء وملح في إناء ثم صبَّ عليه -إصبعه- ومسحها وعوَّذها بالمعوذتين».

عزيزي القاريء، تأمل الفرق العظيم بين أليشع وبولس والسيد المسيح، وبين محمد. فأليشيع أبرأ الطعام من السم ولم يتضرر أحدًا من أصحابه الذين أكلوا معه. وبولس نفض الأفعى الناشبة شفى يده وذهب ولم يشك في شيء حتى تعجب البرابرة الذين رأوا الأفعى السامة ناشبة في يده وادَّعوا أنه إله. ومحمد ضُرَّ وتألم حتى مماته من مضغه لحمة مسمومة، ومات من ذلك أصحابه الآكلون معه، وتألم من لدغة عقرب ألمًا دفعه إلى لعنها ومداواة إصبعه الملدوغ وتعويذه.

أما عن السيد المسيح له المجد أنبأ عن رسله أنه لا يؤثر السم فيهم بقوله في (مرقس ١٦: ١٨) «وَإِنْ شَرِبُوا شَيْئًا مُمِيتًا لَا يَضُرُّهُمْ، وَيَضَعُونَ أَيْدِيَهُمْ عَلَى ٱلْمَرْضَى فَيَبْرَأُونَ». وقال أيضًا له المجد مخاطبًا تلاميذه في

(لوقا ١٠: ١٩) «هَا أَنَا أُعْطِيكُمْ سُلْطَانًا لِتَدُوسُوا ٱلْحَيَّاتِ وَٱلْعَقَارِبَ وَكُلَّ قُوَّةِ ٱلْعَدُوِّ، وَلَا يَضُرُّكُمْ شَيْءٌ». فانظر إلى يسوع المسيح رفع تلاميذه فوق فعل السم مبطلاً تأثيره في أبدانهم برهانًا لهم أنهم رسله، بخلاف محمد الذي سُمَّ هو وأصحابه.

فاسمح لي أيها القاريء العزيز أن أطرح عليك هذا السؤال: بأي حق إذا يُعتبر نبي الإسلام كيسوع المسيح أو بولس أو أي تلميذ من تلاميذ السيد المسيح؟!

فهل من عاقل يتدبر هذه المسألة؟ وهو إن كان محمد رسول الله الأعظم ونبيه الأكرم ويزعم أنه جاء من الله بشرع ناسخ لما قبله، فلماذا جاز عليه هذا الأمر من تأثير السم فيه وفي أصحابه، كما جاز عليه السحر من دون أنبياء الله الكرام؟

أليس ذلك دليلاً على عدم صحة دعواه؟ أو بعبارة ألطف أليس ذلك يطعن في نبوَّته ويقدح فيها؟

(١٢) شفاعة محمَّد يوم القيامة

أولاً مصدر البحث

جاء في «صحيح البخاري» «وَيُضْرَبُ ٱلصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا ٱلرُّسُلُ وَدَعْوَى ٱلرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ ٱللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ ٱلسَّعْدَانِ هَلْ رَأَيْتُمُ ٱلسَّعْدَانَ قَالُوا نَعَمْ يَا رَسُولَ ٱللَّهِ قَالَ فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ ٱلسَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلَّا ٱللَّهُ تَخْطَفُ ٱلنَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ فَمِنْهُمُ ٱلْمُوبَقُ يَقِيَ بِعَمَلِهِ أَوِ ٱلْمُوثَقُ بِعَمَلِهِ وَمِنْهُمُ ٱلْمُخَرْدَلُ أَوِ ٱلْمُجَازَى أَوْ نَحْوُهُ ثُمَّ يَتَجَلَّى حَتَّى إِذَا فَرَغَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْقَضَاءِ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ ٱلنَّارِ أَمَرَ ٱلْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ ٱلنَّارِ مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا مِمَّنْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَنْ يَرْحَمَهُ مِمَّنْ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي ٱلنَّارِ بِأَثَرِ ٱلسُّجُودِ تَأْكُلُ ٱلنَّارُ ٱبْنَ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ ٱلسُّجُودِ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ ٱلسُّجُودِ فَيَخْرُجُونَ مِنَ ٱلنَّارِ قَدِ ٱمْتُحِشُوا فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ ٱلْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ تَحْتَهُ كَمَا تَنْبُتُ ٱلْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ ٱلسَّيْلِ ثُمَّ يَفْرُغُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْقَضَاءِ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ وَيَبْقَى رَجُلٌ مِنْهُمْ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى ٱلنَّارِ هُوَ آخِرُ أَهْلِ ٱلنَّارِ دُخُولاً ٱلْجَنَّةَ».

وفي صحيح البخاري ومسلم: «يَجْتَمِعُ المُؤْمِنُونَ يَومَ القِيامَةِ، فيَقولونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنا إلى رَبِّنا، فَيَأْتُونَ آدَمَ فيَقولونَ: أنْتَ أبو النَّاسِ، خَلَقَكَ اللهُ بيَدِهِ، وأَسْجَدَ لكَ مَلائِكَتَهُ، وعَلَّمَكَ أسْماءَ كُلِّ شيءٍ، فاشْفَعْ لنا عِنْدَ رَبِّكَ حتَّى يُرِيحَنا مِن مَكانِنا هذا، فيَقولُ: لَسْتُ هُناكُمْ، ويَذْكُرُ ذَنْبَهُ

فَيَسْتَحِي، ائْتُوا نُوحًا، فإنَّه أوَّلُ رَسولٍ بَعَثَهُ اللهُ إلى أهْلِ الأرْضِ، فَيَأْتُونَهُ فيَقولُ: لَسْتُ هُناكُمْ، ويَذْكُرُ سُؤالَهُ رَبَّهُ ما ليسَ له به عِلْمٌ فَيَسْتَحِي، فيَقولُ: ائْتُوا خَلِيلَ الرَّحْمَنِ، فَيَأْتُونَهُ فيَقولُ: لَسْتُ هُناكُمْ، ائْتُوا مُوسَى، عَبْدًا كَلَّمَهُ اللهُ وأَعْطاهُ التَّوْراةَ، فَيَأْتُونَهُ فيَقولُ: لَسْتُ هُناكُمْ، ويَذْكُرُ قَتْلَ النَّفْسِ بغيرِ نَفْسٍ، فَيَسْتَحِي مِن رَبِّهِ، فيَقولُ: ائْتُوا عِيسَى عَبْدَ اللهِ ورَسولَهُ، وكَلِمَةَ اللهِ ورُوحَهُ، فيَقولُ: لَسْتُ هُناكُمْ، ائْتُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، عَبْدًا غَفَرَ اللهُ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ وما تَأَخَّرَ، فَيَأْتُونِي، فأنْطَلِقُ حتَّى أسْتَأْذِنَ علَى رَبِّي، فيُؤْذَنَ لِي، فإذا رَأَيْتُ رَبِّي وقَعْتُ ساجِدًا، فَيَدَعُنِي ما شاءَ اللهُ، ثُمَّ يُقالُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ وسَلْ تُعْطَهْ، وقُلْ يُسْمَعْ واشْفَعْ تُشَفَّعْ، فأرْفَعُ رَأْسِي، فأحْمَدُهُ بتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، ثُمَّ أشْفَعُ فَيَحُدُّ لي حَدًّا، فَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ، ثُمَّ أعُودُ إلَيْهِ فإذا رَأَيْتُ رَبِّي مِثْلَهُ، ثُمَّ أشْفَعُ فَيَحُدُّ لي حَدًّا، فَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ، ثُمَّ أعُودُ الرَّابِعَةَ، فأقُولُ ما بَقِيَ في النَّارِ إلَّا مَن حَبَسَهُ القُرْآنُ، ووَجَبَ عليه الخُلُودُ قالَ أبو عبدِ اللهِ: إلَّا مَن حَبَسَهُ القُرْآنُ، يَعْنِي قَوْلَ اللهِ تَعالَى: ﴿خالِدِينَ فيها﴾».

التعليق

أيصدق عاقل هذه الروايات أنها قول محمد؟ لا أرى عاقلاً يعيرها شيئًا من الاعتبار، وذلك لما تتضمَّنه من الأمور الداكة إلى الحضيض كدعواه نبي الله.

أما غير المسلمين فلا يشكُّون أنها قوله، لتشابهها كثيرًا بأقواله وادعاءاته ولا سيما قصة الإسراء والمعراج.

ولدى إمعان النظر في هذه الأقوال لنا خمسة تعليقات:

(١) التناقض مع أقواله في وسائل دخول الجنة.

(٢) سقوط جميع الأنبياء في الخطية إلَّا يسوع المسيح.

(٣) كون العذاب في جهنم سابق لرحمة الله.

(٤) إن الخطية ولو مرة واحدة مانعة لقبول شفاعة.

(٥) عصمة مخلِّصنا يسوع المسيح من الخطية.

(١) التناقض مع أقواله في وسائل دخول الجنة.

نبدأ بالكلام عن قول محمد: «وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان لا يعلم قدر عظمها إلَّا الله تخطف الناس بأعمالهم». إنك ترى الحق في هذه الجملة مسكوبًا بقالب خرافي. والحق فيها أن الخطاة الفجَّار يؤخذون يوم القيامة بأعمالهم وفق ما جاء في الكتاب والقرآن ﴿وسيعلم الظالمون أي منقلب ينقلبون﴾ وهذا يتناقض على خط مستقيم مع أقواله في وسائل دخول الجنة كما رأينا فيما مَرَّ، فترى من قرأ دُبُر كل صلاة إلخ، وما من مسلم يتوفى له ثلاثة أولاد، ويدخل النار من كان اسمه ... إلخ

ففي هذا الفصل نجد أن الخطاة يهبطون جهنم بأعمالهم الرديئة كالقتل والزنى والسرقة والظلم، وسابقًا نجد أن الخطاة يدخلون الجنة بتمتمات عقب كل صلاة، وببرِّ غيرهم، أفليْس الأمران نقيضين لا يجتمعان؟! لأنه إن كان الخاطئ يُعاقب بخطاياه فالأمر الثاني باطل!

فأي القولين حق وأيهما باطل؟!

وهل لمرسَل من الله أن يقول قولين متناقضين متضاربين؟!

(٢) سقوط جميع الأنبياء في الخطية إلَّا يسوع المسيح.

إن كثيرين من المسلمين ينزِّهون أنبياء الله من الخطأ بسيرتهم وألسنتهم، ويكفِّرون من نسب لأحدهم خطية ما ارتكبوها، وهم بذلك يخطِّئون ويكذِّبون الكتاب المقدَّس والقرآن، والسُّنَّة المبيَّن فيهم سقطات كثيرين من الأنبياء، وذلك منتهى الجهل والحماقة. فالحق أن أنبياء ومرسليه معصومون من الخطاء في أمر إعلانهم إرادة الله وإبلاغهم الملأ ما أُرسِلوا به إليهم من ربهم، وليسوا معصومين قط من الخطأ والذلل في سيرتهم وسريرتهم، إلَّا مسيح الله الذي أقرَّ أنه ما أصاب خطية ولا ذنب، بل كل ما قاله: «أنا لست هنا لكم». ما سبب ذلك؟! وعلام يدل؟!

(٣) كون العذاب في جهنم سابق لرحمة الله.

هل يُعقل أن الله يؤخِّر رحمته عمن أراد أن يرحمهم حتى يهبطوا جهنم ويذوقوا عذابها؟!

هل الرحمة في الله محدثة؟!

فقد علم أن من يرحم قبل أن يوجد ذلك المرحوم فيه، وإذا تقرر ذلك، هل يصح القول إن الله الراحم عبده يؤخر ظهور رحمته حتى يذوق نار جهنم؟ أيدع الله عذاب النار يسبق رحمته؟ أليس ما يُعقل أنه تعالى إذا رَحِمَ عبدًا رحمة الغفران والعفو أن يرحمه رحمة كاملة تليق بكماله الإلهي ووجوده غير المتناهي؟

أليس أن ملوك هذا العالم الدنيوي من ذوي الكرامة وشرف النفس

إذا رَحِمَ مجرمًا رحمة العفو أثناء مثوله أمام القاضي أو الأمير لا يدعه يدخل السجن، ولا أن يـُهان أقل إهانة، كما هو الحال بين الخليفة المأمون وعمه إبراهيم الذي كان قد خرج عليه وسمى نفسه بالخليفة، وحين قُبِضَ عليه عفا عنه إشفاقًا وكرمًا، ولم يمسه بأذى بل طيَّب قلبه وصرفه مكرمًا (والقصة معلومة). فإن كان ذلك شأن الحاكم الأرضي الكريم فكم بالحري شأن الرحمن ذي الجلال والكمال الذي أراد أن يرحم عبدًا لا يدع نار جهنم تمسه.

وخلاصة ما تقدم ينتج لنا بطلان القول: «حَتَّى إِذَا فَرَغَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْقَضَاءِ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ ٱلنَّارِ أَمَرَ ٱلْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ ٱلنَّارِ مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا إلخ» وغير خافٍ على الباحث الأمين أن مثل هذا القول يتضمن الإعزاء إلى الله سبحانه الندم على قضائه بطرح أمثال هؤلاء في النار، وإن إرادته الرحمة بهم محدثة!! جل وعلا الله عن ذلك

(٤) إن الخطية ولو مرة واحدة مانعة لقبول شفاعة.

قد رأيت في حديث همام عن محمد أن آدم وموسى ونوح وإبراهيم رفضوا استشفاع الله بمستشفعيهم بداعي أنهم أخطأوا إلى ربهم؛ مبيِّنين أن خطيتهم لم تبقِ لهم سبيلاً إلى استشفاع الله بغيرهم من الخطاة، وبذلك يعلنون أن من تعدى حدًّا من حدود الله مرة لا حقَّ له أن يشفع بمتعديين مهما كان عزيز المكانة عند الله سواء كان خليلاً أم كليمًا، ومعلوم لدنيا أن المذنب لا يشفع بالمذنب وليس للخاطئ حق الوساطة بين الله والخطاة، ذلك إعلان الله الصريح في الكتاب المقدَّس بخصوص الخطية والنعمة

والحق. إن الخطية عمَّت بني آدم كافة، وألقتهم تحت قصاص هائل من الله، فأصبحوا بافتقار عظيم إلى من هو بلا خطية ولا ذنب يتوسط لهم لدى الله ويشفع فيهم. ولسان حالهم يقول: «ألا من بارٍ من الناس لم يخطئ إلى ربه فيتوسط أمرنا لديه، ويشفع لنا عنده؟». نعم هذا لسان حال كل إنسان يشعر بثقل خطاياه، وإن الله من فرط حبِّه وعمق مراحمه بعباده ورأفته بخلقه أوجد هذا الوسيط والفادي الشفيع فهو كلمته الأزلية وابنه الوحيد المتأنس من عذراء، والمشهود له ببره من كل إثم وخطية، فضلاً عن قدرته الخارقة في عمل المعجزات وإعراضه عن الدنيا.

وهاك قطرة عن محيط ما جاء عنه في الكتاب المقدَّس.

١ - «لٰكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا، وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا. وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَابًا مَضْرُوبًا مِنَ ٱللهِ وَمَذْلُولاً. وَهُوَ مَجْرُوحٌ لِأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لِأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ، وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا. كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، وَٱلرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا. ظُلِمَ أَمَّا هُوَ فَتَذَلَّلَ وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ. كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى ٱلذَّبْحِ، وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ. مِنَ ٱلضُّغْطَةِ وَمِنَ ٱلدَّيْنُونَةِ أُخِذَ. وَفِي جِيلِهِ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ قُطِعَ مِنْ أَرْضِ ٱلأَحْيَاءِ، أَنَّهُ ضُرِبَ مِنْ أَجْلِ ذَنْبِ شَعْبِي؟ وَجُعِلَ مَعَ ٱلأَشْرَارِ قَبْرُهُ، وَمَعَ غَنِيٍّ عِنْدَ مَوْتِهِ. عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ ظُلْمًا، وَلَمْ يَكُنْ فِي فَمِهِ غِشٌّ. أَمَّا ٱلرَّبُّ فَسُرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ بِٱلْحَزَنِ. إِنْ جَعَلَ نَفْسَهُ ذَبِيحَةَ إِثْمٍ يَرَى نَسْلاً تَطُولُ أَيَّامُهُ، وَمَسَرَّةُ ٱلرَّبِّ بِيَدِهِ تَنْجَحُ. مِنْ تَعَبِ نَفْسِهِ يَرَى وَيَشْبَعُ، وَعَبْدِي ٱلْبَارُّ بِمَعْرِفَتِهِ يُبَرِّرُ كَثِيرِينَ، وَآثَامُهُمْ هُوَ يَحْمِلُهَا. لِذَلِكَ أَقْسِمُ لَهُ بَيْنَ ٱلأَعِزَّاءِ وَمَعَ ٱلْعُظَمَاءِ يَقْسِمُ غَنِيمَةً، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ سَكَبَ لِلْمَوْتِ نَفْسَهُ وَأُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ، وَهُوَ حَمَلَ خَطِيَّةَ كَثِيرِينَ وَشَفَعَ فِي ٱلْمُذْنِبِينَ» (إشعياء ٥٣: ٤ -١٢).

٢- «قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ ٱلطَّرِيقُ وَٱلْحَقُّ وَٱلْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى ٱلآبِ إِلَّا بِي» (يوحنا ١٤:٦).

٣- «إِذِ ٱلْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ ٱللهِ، مُتَبَرَّرِينَ مَجَّانًا بِنِعْمَتِهِ بِٱلْفِدَاءِ ٱلَّذِي بِيَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ، ٱلَّذِي قَدَّمَهُ ٱللهُ كَفَّارَةً بِٱلإِيمَانِ بِدَمِهِ، لإِظْهَارِ بِرِّهِ، مِنْ أَجْلِ ٱلصَّفْحِ عَنِ ٱلْخَطَايَا ٱلسَّالِفَةِ بِإِمْهَالِ ٱللهِ» (رومية ٣ :٢٣، ٢٤، ٢٥).

٤- «يَا أَوْلاَدِي، أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ هٰذَا لِكَيْ لَا تُخْطِئُوا. وَإِنْ أَخْطَأَ أَحَدٌ فَلَنَا شَفِيعٌ عِنْدَ ٱلآبِ، يَسُوعُ ٱلْمَسِيحُ ٱلْبَارُّ. وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا. لَيْسَ لِخَطَايَانَا فَقَطْ، بَلْ لِخَطَايَا كُلِّ ٱلْعَالَمِ أَيْضًا» (ايوحنا ٢ :١، ٢).

ومما يستحق الاعتبار المطابقة الكلية بين الكتاب المقدَّس والمذهب الإسلامي في شيئين مما نحن بصدده

١- عصمة السيد المسيح من كل خطية.

٢- وساطته وشفاعته لدى الله بالخطاة

أما من حيث عصمة السيد المسيح من كل خطية فإن القرآن كما ترى وإن لم يصرِّح بذلك كالكتاب المقدَّس ففيه الدليل الراهن على خلوّ السيد المسيح له المجد من شائبة الإثم والخطأ، إذ إنه يذكر لأعاظم الأنبياء خطايا كموسى، وداود، توبة واستغفار، وكذلك يذكر القرآن لمحمد أن «الله غفر له من تقدَّم من ذنبه وما تأخر، وإنه رفع عنه وزره الذي أنقض ظهره». مبيِّنًا أن محمدًا كان مثقل القلب بالأوزار والذنوب، ولكنه لا يذكر للمسيح ذنبًا ولا توبة ولا استغفار؛ وهذا دليل على كمال برِّ المسيح وطهارته من كل دنس، وهل من دليل أقطع من هذا الدليل؟

أما من حيث وساطة وشفاعة السيد المسيح لدى الله بالخطاة، فلنا في القرآن دليلٌ وهو كلمة الملائكة للعذراء مريم حين بشَّروها بولادتها ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ (آل عمران ٣: ٤٥) من لا يرى هذه الكلمة العظيمة الإشارة إلى وحدة وساطة عيسى المسيح الكلمة التي بها ميَّزه القرآن عما سواه من الأنبياء والمرسلين.

ومع أن الحديث الذي نحن بصدده دال كالقرآن على عدم اقتراف المسيح بخطية حيث أنه لم يذكر لمستشفعيه ذنبًا أتاه يمنعه من الاستشفاع بهم، فقط امتنع عن ذلك بقوله «أنا لست هنا لكم» ولم يقدم سببًا يمنعه من ذلك، وحوَّلهم إلى محمد كما رأينا. ومحمد باعتبار المبدأ المُشار إليه باعتذار موسى، وداود، ونوح، وإبراهيم، وهو إن الخطية ولو مرة واحدة مانعة من الاستشفاع بالخطاة. وكيف للسيد المسيح البار أن يمتنع عن استعمال حق شفاعته بقاصيديه؟! إن ذلك يتعارض مع الكتاب المقدَّس والقرآن. فالكتاب المقدس يقول: «فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ خُبْزُ ٱلْحَيَاةِ. مَنْ يُقْبِلْ إِلَيَّ فَلَا يَجُوعُ، وَمَنْ يُؤْمِنْ بِي فَلَا يَعْطَشُ أَبَدًا. وَلٰكِنِّي قُلْتُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ قَدْ رَأَيْتُمُونِي، وَلَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ. كُلُّ مَا يُعْطِينِي ٱلْآبُ فَإِلَيَّ يُقْبِلُ، وَمَنْ يُقْبِلْ إِلَيَّ لَا أُخْرِجْهُ خَارِجًا» (يوحنا ٦: ٣٥ - ٣٧) والقران يقول: ﴿وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ (آل عمران ٣: ٤٥).

وكيف يحوِّل عيسى قاصديه إلى رجل ممنوع أصلاً من الشفاعة بسبب كثرة خطاياه وذنوبه؟!

أليس أن امتناع السيد المسيح عن استعمال حق شفاعته يخفق نبوَّة أعلنها القرآن بوجاهته في الآخرة؟!

كيف يفعل المسيح هذا وإنجيلنا المقدس يعلن لنا أن يسوع المسيح يشفع في المؤمنين به وهم أحياء في هذا العالم حتى يؤهلهم للملكوت السماوي، أما في اليوم الأخير يوم القيامة لا توبة مقبولة ولا شفاعة بالذين ماتوا ولم يتوبوا؟ وما أجمل العبارة القائلة: «عجِّل بالتوبة قبل ٱلموت»! فلو كانت هناك توبة وشفاعة بعد الموت فقد نقض محمد بهذا الحديث نفس المبدأ الذي قرره وانتحل لنفسه حق السيد المسيح، ولم يحسب لأولى النقد حسابًا!

وهل للملائكة أن تقول عنه وجيها في الدنيا والآخرة عبثًا؟

وما أجمل قول الرسول بولس: «وَأُولٰئِكَ قَدْ صَارُوا كَهَنَةً كَثِيرِينَ مِنْ أَجْلِ مَنْعِهِمْ بِٱلْمَوْتِ عَنِ ٱلْبَقَاءِ، وَأَمَّا هٰذَا فَمِنْ أَجْلِ أَنَّهُ يَبْقَى إِلَى ٱلْأَبَدِ، لَهُ كَهَنُوتٌ لَا يَزُولُ. فَمِنْ ثَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَ أَيْضًا إِلَى ٱلتَّمَامِ ٱلَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ بِهِ إِلَى ٱللهِ، إِذْ هُوَ حَيٌّ فِي كُلِّ حِينٍ لِيَشْفَعَ فِيهِمْ» (عبرانيين ٧ : ٢٣ - ٢٥).

والخلاصة إن هذه القصة والدعوى التي لا نَص في القرآن يؤيدها، فإما إنها تقوُّل على لسان محمد لازدياد تعظيمه أو إنه قال هو ذلك لغاية ازدياد تعلُّق القوم به واعتمادهم عليه وشفعيهم غير المردود. فسواء كانت تقوُّلا عليه، أو هو قالها ينشأ عنها اعتراضان:

وإذا كان الله أنبأ العذراء مريم بلسان ملائكته أن المولود منها هو «وجيه في الدنيا والآخرة» النبأ الذي لم يكن لنبي سواه فلا يصح بالعقل أن هذا الوجيه في الدارين يرفض استعمال وجاهته، وخاصة حين كان في دار الدنيا لم يردّ طالبًا، ولم يُرجئ سائلاً سأله، بخلاف محمد الذي تولَّى عن الأعمى كما هو مذكور في سورة عبس (١-٨) فإذا كان هكذا في العالم يبرئ

الأكْمة والأبرص، ويشفي المرضى، ويحيي الموتى، ويشبع الجياع فمن يستطيع أن يقدِّر ما يفعله بهم حين يلجأون لهم في الآخرة، وإن لم يكن كذلك فآية القرآن باطلة لا محلَّ لها من الصحة، بيد أن المفهوم عند شرَّاح القرآن أن عبارة «وجيه في الدنيا والآخرة» تعني أن السيد المسيح يشفع بالمؤمنين به يوم القيامة. وحسب شرح الفخر الرازي لهذه الآية «وجيه في الدنيا والآخرة» أولاً: في الدنيا بسبب النبوَّة، في الآخرة بسبب علوّ المنزلة عند الله. ثانيًا: في الدنيا أنه يُستجاب دعاؤه ويُحيي الموتى ويبرئ الأكْمة والأبرص وفي الآخرة بسبب أنه تعالى يجعله شفيع أُمته ويقبل شفاعته فيهم. ثالثًا: وجيه في الدنيا بسبب أنه كان مبراءً من الذنوب والعيوب التي وصفه اليهود بها، ووجيه في الآخرة بسبب كثرة ثوابه وعلوِّ درجته عند الله تعالى (تفسير الفخر الرازي ج٣، صفحة ٦٧٦).

لقد أحسن الإمام في ما قاله، ولا يحتمل النص أكثر من هذا، ولكن نسأل من هي أمَّة المسيح؟ أليست كافه المؤمنين به وباسمه حسب إنجيله من يهود وأُمم وعرب وعجم، وكما قال الإنجيل: «وَأَمَّا كُلُّ ٱلَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلَادَ ٱللهِ، أَيِ ٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱسْمِهِ» (يوحنا ١: ١٢) فكل إنسان تائب مؤمن بالمسيح حسبما جاء عنه في الإنجيل هو من أُمته، ويحق له شفاعته فيهم ومن لا يؤمن به فليس من أُمته وبالتالي يكون محرومًا من شفاعته.

إن محمدًا أخطأ إلى ربه حسب القرآن والسُّنَّة، والحديث الذي نحن بصدده سبق وصرَّح بذلك، وصرَّح أيضًا أن الخطية ولو مرة واحدة تمنعه من حق الشفاعة ولو كان نبيًا ورسولاً، وعليه فمحمد ممنوع من ذلك بحسب ما جاء عنه في القرآن ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ

مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَاسِقِينَ﴾ (سورة التوبة ٩: ٨٠). فكيف صحَّ له الاستشفاع؟ وإن قيل «إن الله غفر له». قلنا: «ألم يغفر لموسى وإبراهيم ونوح وداود»؟ فلماذا لم يحق لهم شفاعة؟ وإنهم ليسوا كمحمد الذي كان يئنّ من ثقل خطاياه وذنوبه. وإن صحت لمحمد شفاعة فبالأولى تصح لإبراهيم خليله ولموسى كليمه الذين كانا متمتعان بسلام الله وقربة منهم، وإذا كان لا يجوز لهم بسبب ما اقترفوه من خطية فبالأولى لا يجوز لمحمد الكثير الذنوب إذ ليس هو كخليله أو ككليمه ومن لا يرى أن البار أحقَّ بالشفاعة من الخاطئ !!

والخلاصة إن محمدًا بعدما صرَّح لأصحابه أن الخطية تمنع الشفاعة عن الأنبياء مهما كانت مكانتهم، رأى نفسه قد تجرَّد من كل شئ حتى شفاعته، وحشر كل شئ في عيسى، فتدارك هذا الأمر وتقوَّل على لسان عيسى: «أنا لست هنا لكم»! فمن لا يرى عدم جدوى هذا الاستدراك بعد أن تبيَّن لنا أنه لا شفاعة له كما في (سورة التوبة ٩: ٨٠)، وإنه ليس هو إلَّا كوضع الدواء بفم الميت، ومما يثير الدهشة هو أنه لا يوجد من أصحابه من يمسكه من كلامه ويدخل معه في الجدال ويقول له: أغفر اللهُ لك يا محمد وحدك؟! أليس أن تكرار الشافع الاستئذان بالدخول إلى الحاكم الأرضي العادل وتواتر تشفعه بمجرمين محكوم عليهم شرعًا بالقصاص فوق ما كان قد حدد لهم مأوف منه، ولا يقبل ذلك إلَّا حاكمٌ ظالمٌ، فكم بالأحرى لا يقبله الله عز وجل الذي يجزى كل نفس بما فعلت؟!

(٥) عصمة مخلِّصنا يسوع المسيح من الخطية.

لابد لكل متعقل من المسلمين بعد وقوفه على النصوص العديدة

في القرآن والسُّنَّة الدالة على بِر السيد المسيح من الخطية دون أنبياء الله ومرسيله كافة من خطور السؤال الآتي على باله:

ما سبب بِرّ السيد المسيح من كل عيب وذنب؟

فإن المسيح مستثنى بذلك. عن معشر الأنبياء والرسل، ها قد ذُكِرَ ذنوب لأعاظم الأنبياء واستغفار وتوبة حتى محمد كان يستغفر الله حتى نزل علية القول: «غفر لك ما تقدَّم من ذنبك ... ووضعنا عنك وزرك» ولكنه لم يذكر مثل ذلك للسيد المسيح لا توبة ولا استغفار.

هل ذلك بدون علّةٍ موجبةٍ؟

وما هي يا ترى هذه العلّة؟

ومهما أجهدنا أنفسنا باكتشاف هذه العلّة في كتب الإسلام لا يُرى لهذا السؤال جوابٌ سديدٌ يروى الغليل سوى تفرُّده في الولادة، وعدم مسّ الشيطان، ونسبة السني بكلمه الله وروحه.

أخيرًا عزيزي القارئ لقد نظرت إلى ربنا ومخلِّصنا يسوع المسيح من وجة نسبه لله «روح الله» ومن وجه كماله الأدبي، ومن وجه أعماله الباهرة الخيرية، رأيت لظهوره في العالم أهمية تفوق جدًا أهمية ما عداه من الأنبياء والرسل وغاية ما وراءها من غاية، أين تجد ذلك بيانًا في القرآن؟! كلَّا لا تجده إلَّا في الكتاب المقدَّس الذي أنزله الرحمن نورًا وهدى للناس وعلى التي هي أحسن. فهل لك أن تطالعه بالتدبر والاحترام الواجبين لتقف فيه على هذه الغاية الإلهية التي عليها لا سواها تتعلق السعادة الحقَّة في الدنيا والآخرة.

من إصداراتنا

أولاً: فحص الإسلام

الكتاب	المؤلف
سلسلة الهداية القديمة:	ميخائيل عبد السيِّد
سلسلة الهداية: الجزء الأول	ميخائيل عبد السيِّد
سلسلة الهداية: الجزء الثاني	ميخائيل عبد السيِّد
سلسلة الهداية: الجزء الثالث	ميخائيل عبد السيِّد
سلسلة الهداية الجزء الرابع	ميخائيل عبد السيِّد
سلسلة الهداية الجزء الخامس (تعليقات على الإسلام١)	چيرمين العُلامي شاؤول
سلسلة الهداية الجزء السادس (تعليقات على الإسلام٢)	چيرمين العُلامي شاؤول
تنوير الأفهام في مصادر الإسلام	سنكلير تسدل
الإنجيل يسأل القرآن	منيس عبد النور
الكتاب المقدس وتحقيق نبوَّاته	ألكساندر كيث
المناطق المحظورة في القرآن والسيرة	سمسم عبد الفادي
منار الحق	
شبهاتٌ وهمية حول العهد القديم	نسخة أصلية غير مخففة
شبهاتٌ وهمية حول العهد الجديد	نسخة أصلية غير مخففة
مقالة في الإسلام (تحت الإعداد)	جرجس سال
علم الأعلام في حقيقة الإسلام (تحت الإعداد)	مجهول
الكتاب المقدس والقرآن (محاولة توفيق ميؤوس منها)	مسكويني الطرابلسي

نسخة كاملة تهدية

المسيح هو الرجاء الوحيد لعالمنا	كريس أندرو
أسرار وحقائق عن الإسلام	كريس أندرو

جاري العمل على إصدار طبعة حديثة للهداية أكثر تنظيماً

ثانيًا: الدراسات الكتابية والتفاسير

الكتاب	إعداد
سلسلة المرشد إلى الكتاب المقدس	أسامة خليل أندراوس
الجزء الأول: وصفٌ عام للكتاب المقدَّس	أسامة خليل أندراوس
الجزء الثاني: مقدمات العهد القديم	أسامة خليل أندراوس
الجزء الثالث: مقدمات العهد الجديد	أسامة خليل أندراوس
الجزء الخامس: أضواء على بعض الموضوعات	أسامة خليل أندراوس
الجزء الخامس: خط الزمن	أسامة خليل أندراوس
لوحة الخط الزمني للكتاب وتاريخ الكنيسة	أسامة خليل أندراوس
ملحق السلسلة «لوحة ملونة» (١٠٠ سم × ١٢٢ سم)	أسامة خليل أندراوس
An Introduction To The Old Testament	Chris H. Andrew
An Introduction To The New Testament	Chris H. Andrew
سلسلة قصص الكتاب المقدس	لبيب مشرقي
١ - أسفار موسى الخمسة	لبيب مشرقي
٢ - الأنبياء	لبيب مشرقي
حديث مع مارتن لوثر	لبيب مشرقي

نسخة كاملة مجانية

سمعان كلهون	اتفاق البشيرين (تحت الإعداد)
Servants of the Lord	False Aligations Against The New Testament
Servants of the Lord	False Aligations Against The Old Testament
Awad Sam'an	The Necessity Of The Atonement Of Christ. (The Philosophy Of Forgiveness In Christian-ity، part 1)
Awad Sam'an	How Do We Benefit From The Atonement Of Christ? (The Philosophy Of Forgiveness In Christianity، part 2)

نسخة كاملة هدية

نسخة كاملة هدية